تحقيقات في المختلف من نسخ نهج البلاغة بين المشهور وضبط الحِلِّيَّين (ابن السكون الحِلِّيّ ت حدود ٦٠٠هـ) و(ابن أردشير الطبريّ الحِلِّيّ حيًّا ٦٨١هـ) (الخطبة الأولى/القسم الخامس)

أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ
مركز تراث الحِلَّة

Verifications at Various Versions of Nahj Al-Balagha between the famous and accuracy of the Hillians (Ibn Al-Sukun Al-Hilli, D. 600 A.H) and (Ibn Ardashir Al-Tabari Al-Hilli, alive in 681 A.H) (First Sermon/ Section Five)

Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji
Hilla Heritage Center

٣٩. المتعادية، المتباعِدة[١].

في قولِ أمير المؤمنين: «والأَضْدَادِ الْـمُتَعَادِيَةِ»[٢].

ظاهر اللفظَين التَّصحيف، والتَّحريف، ومع شهرة (المتعادية)، وكثرة ورودها في النُّسخ، إلَّا أنَّ (المتباعدة) لها وجه ممكنٌ، ووجيه، وقبل توجيه الرّوايتَين، سنمضي على طريقتنا في تبيان المعاني اللغويَّة للفظَتي (المتباعدة = بعد)، و(المتعادية = عدوَ).

ونبدأ بـ(التَّعادي) الرّواية الرَّاجحة في الخطبة، ثمَّ نعرِّج على المرجوح[٣] (التَّباعد).

ففي العين: عدو: العدو: الحضر.

عدا يعدو عدوًا وعدوا، مثقلة، وهو التعدِّي في الأمر، وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه، ويقرأ[٤] ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا﴾ الأنعام: ١٠٨ على فعول في زنة: قعود.

وعدا طورهُ، وعدا قدرُه؛ أي: جاوز ما ليس له.

والعُدوان، والاعتداء، والعِداء، والعدوي، والتعدِّي: الظُّلم البراح.

---

(١) في (أ): ٤٩ (المتعادية)، وفي (سكون): ٧٣ (المتعادية)، وفي الهامش: ١١ «في نسخة: المتباعدة»، وفي أردشير: ٨ (المتعادية)، وكتب تحتها (المتباعدة) فقد تكون نسخة، أو تفسير للفظ (المتعادية)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨٠ (المتعادية) وكتب في الهامش ١١ «حاشية المتباعدة، من قولهم: تعاد (كذا)، أي: تباعد».

(٢) نهج البلاغة: ٤٢.

(٣) لا على الأصل اللغويّ الذي يراه خرِّيتو هذه الصناعة (اللغويُّون)؛ فعندهم «الراجح ظنٌّ: والمرجوح وهمٌ»، ولكن على رأي الأصوليِّين، وهو أنَّ «المرجوحيَّة كون الشيئَين أحدهما أبعد من الآخر، والراجحيَّة كونه أقرب منه».

(٤) في التبيان للطوسيّ: ٤/ ٢٣٢ «قرأ الحسن، ويعقوب (عُدُوّا) بضمِّ العين والدال وتشديد الواو، والباقون بفتح العين وبسكون الدَّال، وأصل ذلك من العدوان، و(عدوا) مخفَّفًا و(عدوا) لغتان، يُقال عدا عليَّ عدوًا وعدوانًا وعداءً، إذا ظلم، مثل ضرب ضربًا، وعدا فلان على فلان؛ أي: ظلمه، والاعتداء افتعال من عدا».

العدواء على وزن الغلواء: المكان الذي لا يطمئن من قعد عليه، يقال: جئت على مركب ذي عدواء؛ أي: ليس بمطمئن، ولا مستوٍ.

نمتُ على مكان متعادٍ، إذا كان متفاوتًا ليس بمستوٍ، وهذه أرضٌ متعادية: ذات جحرة، ولخاقيق(١).

فالملموح في هذه المادَّة هو التَّفاوت، والخروج عن الحدِّ، والشُّذوذ عن اللحمة، والحدِّ.

فتكون رواية (المتعادية) يعني بها الأضداد المتفاوتة، في الخلق، والوظيفة.

وأمَّا (التَّباعد)؛ فالباء، والعين، والدال أصلان، خلاف القُرب، ومقابل قبل، قالوا: البعد خلاف القرب، والبعد، والبُعد الهلاك.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هود: ٩٥؛ أي: هلكت(٢).

وقياس ذلك واحد، والأباعد خلاف الأقارب، قال الشاعر:

إذا أَنــتَ لم تَـعْـرُكْ بِجَنْبك بعضَ ما
يَـريـبُ مـن الأَدْنَـــى، رمـاك الأَبــاعِـدُ(٣)

وتقول تنحَّ غير باعد؛ أي: غير صاغر.

وتنحَّ غير بعيد؛ أي: كن قريبًا.

وأمَّا الأصل الآخر؛ فقولك: جاء من بعد، كما تقول في خلافه من قبل(٤).

(١) انظر: الصِّحاح: ٦/ ٢٤٢٢.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ٥/ ١٨٧، وقد ذكرتها مصادر متعدِّدة.
(٣) لمحمَّد بن أبي شحَّاذ الضبِّيّ، انظر: التذكرة الحمدونيَّة: ١/ ٤٠٠.
(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة: ١/ ٢٦٨.

والبعد: المسافة.

والتَّباعد: نقيض التَّقارب، وبعَّده بالتَّشديد بمعنى أبعده، واستبعده نقيض استقربَهُ، وأمر بعيد: لا يقع مثله لعظمه[1].

وأمَّا توجيه قوله «**الأضداد المتباعدة**»؛ فالضدَّان هما الصِّفتان الوجوديَّتان المتعاقبَتان على موضوعٍ واحدٍ.

وهل يخصُّهما التَّباعد؟ نعم من جهةٍ، ولا من أخرى!!.

أمَّا جهة الإيجاب فلأنَّ بعض صفات الإنسان يمكن أن تجتمع من جهتَين، بل في جهاتٍ عدَّة، ويمكن أن تتباعد من جهاتٍ أخرى كذلك.

أمَّا جهة الرَّفض، فلِكَون الإنسان لا يمكن أن تجتمع فيه الصِّفات المتنافرة إلَّا من جهة التَّعاقب؛ أعني في زمانٍ واحدٍ، فبموضوعٍ بعينه لا يمكن (مع وحدة الزَّمان، والمكان).

وبعد هذا العرض، تكون الرواية الراجحة للخُطبة هي (المتعادية)، ولنا توجيه في هاتَين الروايتَين:

١. إنَّ (المتعادية)، و(المتباعدة) قد تكون المرجوحة هي تصحيفٌ، وتحريفٌ عن الرَّاجحة، حصل بينهما هذا الأمر؛ بسبب قربِ الألفاظ، وتشابهها من ناحية الشَّكل اللفظيّ.

٢. إنَّ لفظ (المتباعدة) قد يكون تفسيرًا من النَّاسخ، أو قام أحدٌ بوضع حاشيةٍ لهُ[2]؛ فجاء مَنْ نسخَ على هذه النُّسخة؛ فغدتِ الحاشيةُ، أو التَّفسير روايةً لتقادم وضعها من النسَّاخ.

(١) انظر: مجمع البحرين: ٣/ ١٦.

(٢) انظر: ضبط الفرطوسيّ: ١/ ١٨٠، ذكر أنَّ (المتباعدة) هي حاشية.

وهذا ما مكتوب في نسخة ابن أردشير الطبريّ[1]، في الصَّحيفة الثَّامنة كتب تحت لفظ (المتعادية) كلمة صغيرة تحتها (المتباعدة).

٣. مع فرض وجود هاتينِ الرّوايتين، فإنَّ رواية (المتعادية) أبلغ لما مرَّ ذِكره، من جهةٍ.

ومن جهةٍ أخرى؛ فالتَّعادي يتوافق والأضداد، أو هو أقرب للغة، والسِّياق.

وقد تجتمع الأضداد، وتُجمع، فيحدث ما يُعرف بـ(تكامل الأضداد)، وهو أمرٌ ملحوظٌ أسلوبيًّا.

ويذكِّرنا بقول الصَّفيِّ الحِلِّيِّ (ت٧٥٢هـ)[2]:

جُمعت في صفاتك الأضدادُ
فلهذا عَزَّتْ لك الأندادُ
زاهد حاكم حليم شجاع
ناسك فاتك فقير جوادُ
شيم ما جُمعن في بشر قطُّ
ولا حاز مثلهن العبادُ
خُلُق يُخجل النَّسيم من اللطفِ
وبأس يذوب منه الجمادُ
لو رأى مثلك النبي لآخاهُ
وإلَّا فأخطأ الانتقادُ

(١) انظر: النصُّ المقتطع من نسخة ابن أردشير: والأضداد المتعادية.
(٢) انظر: ديوانه.

ما يعني أمير المؤمنين بـ(الأضداد المتعادية)؟.

وهي الكيفيَّات الأربع الَّتي ذكرها عليه السلام، وهي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة التي هي البلَّة، واليبس الذي هو الجمود، وعبَّر عنه بلازمه، وهو الجمود، على أنَّ الجمود في اللغة هو اليبس أيضًا[1]. وهي الأضداد التي جُمعت في بدن الإنسان، وقد فسرَّها عليه السلام بالحرارة، والبرودة، والبلَّة، والجمود؛ فإنَّها متضادَّة، وهذا من العجائب، والمراد بالبلَّة والجمود الرُّطوبة واليبوسة.

وقوله عليه السلام: «**الأخلاط المتباينة**»: الطبائع التي تحصل بها المزاج كالسَّواد والصَّفراء، والبلغم، والدَّم، ومنشأ هذه هو الأضداد المذكورة؛ فإنَّ منشأ الصَّفراء هو الحرُّ، ومنشأ البلغم هو البرد، ومنشأ الدَّم هو البلَّة، ومنشأ السَّوداء هو الجمود. ومهما يكن من أمرٍ، فكلامه عليه السلام من أوَّل الخطبة إلى هنا، في بيان كيفيَّة جسده العنصريّ؛ ثمَّ نفخ الرُّوح فيه مع الأوصاف التي ذكرت للرُّوح، والمجموع من حيث هو خلق الإنسان[2].

٤٠. عهْد، عهِدَ[3].

في قول أمير المؤمنين: «وعَهْدَ وَصِيَّتِه إِلَيْهِم»[4].

يكاد يُجمع ضبط النُّسخ على ورود (عهْد) على الاسميَّة، لا الفعليَّة، ولكن ورود

(١) انظر: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٢/ ٢٩٠.

(٢) انظر: مفتاح السعادة: ١/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) في (أ): ٤٩ (عهْدَ)، وفي سكون: ٧٤ (عهْدَ)، وفي الهامش: ٢ (عهْدَ، عهِدَ، معًا)، وفي أردشير: ٨ (عهْـدَ)، وفي ضبط الفرطوسـيّ: ١/ ١٨١ (عهْدَ)، وفي الهامش (٢) «في حاشـية الأصل عن نُسخةٍ: وعهَدَ [كذا] وصيَّتَه».
والصواب: عهِدَ؛ لأنَّ عهَد، عرف، ومنه الأمر المعهود، المعروف، وعهِدَ: أوصى. وهو يتناسب والوصيَّة. انظر: اللسان: ٣/ ٣١١-٣١٣.

(٤) نهج البلاغة: ٤٢.

هذا الضَّبط في نُسخة، ووجود وجه متقبّل لها يُعنينا في وضع توجيهٍ لها، وههنا لنا أمرانِ:

أوَّلًا: توجيه نُسخة الاسميَّة؛ وهيَ أن تكون معمولًا في حالَين:

أ. أن تكون مفعولًا به للفعل (استأدى)؛ أي: استأدى.. وديعته.. وعهْدَ وصيَّتِه؛ يعني: يكون العامل في النَّصب هو الفعل (استأدى)، وعند العطف عمل العمل، وهو النَّصب في (عهْدَ).

ب. أن يكون الاسم (عهْدَ) منصوبًا بفعل يدلّ عليه السِّياق؛ فـ(استأدى) العامل في (وديعتَه)، وأمَّا (عهْدَ) فقد يكون (أَوْلى)؛ فالعهد يولى، «أولى عهدَ وصيَّته إليهم».

أو (أعطى)، «أعطى عهْدَ وصيَّتِه»، أو (أنفد)، وهكذا..

وما يقوِّي الوجه الأوَّل هو تكرار المتعلَّق، وإعمال العامل نفسه خيرٌ من تأويلِه، أو توجيهه.

وأمَّا ما يقوِّي الوجه الثاني هو تكرار المتعلَّق (لديهم)، و(إليهم).

ثانيًا: توجيه الفعليَّة (عهِدَ)، وفيها ملاحِظ:

أ. أن يكون (الواو) للعطف، وحينئذٍ تكون العمليَّة هنا عطفَ جملةٍ على جملةٍ؛ فعطف جملة «**عهِدَ وصيَّتَه إليهم**»، على «استأدى اللهُ سبحانَه الملائكة وديعتَه لديهم» عطف جملة على جملةٍ.

ب. أن يكون (الواو) هنا للحال؛ وحينها تكون جملة «**عهِدَ وصيَّتَه إليهم**»؛ فيكون المعنى: استأدى اللهُ سبحانَه الملائكة وديعتَه لديهم حال كونه عاهدًا وصيَّته إليهم؛ فهنا قد جعل العهد جزءًا من الوديعة التي ذكرها في قوله «استأدى.. وديعته».

ج. أن يكون (الواو) بمعنى (ثمَّ) التي تفيد المهلة، والمدَّة الفاصلة بين أمرَين؛ فهنا عندما استأدى الله سبحانَه الملائكة وديعته، حصلت مدَّة فاصلة بين إعطاء الأمانة، وإعطاء الوعد وإنفاده تلك التي أفادتها (ثمَّ)، وهذا حصل بالتَّرتيب المنطقيّ؛ إذ استئداء الوديعة يكون سابقًا لعهْدِ العهدِ، والله أعلم.

والجدير بالذكر أنَّ رواية الاسم أصلٌ، وقد ضبطَ بحسبها كلُّ الذين حقَّقوا نهج البلاغة، محمَّد عبده، وصبحي الصالح، والفرطوسيّ، وغيرهم.

مع الملاحَظِ أنَّ رواية الفعل قويَّة، وجديرة؛ فتأمَّل، وتدبَّرْ.

٤١. الخنوع، الخضوع[١].

في قول أمير المؤمنين: «فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَه، والْخنُوعِ لِتَكْرِمَتِه»[٢].

وقد نفى الدكتور الفرطوسيّ لفظ (الخشوع)[٣]، على الرّغم من وروده في نسخةِ الأصل، وهو أمرٌ يخرجه من أصول التَّحقيق؛ لأنَّه كتبَ (في الأصل)، وقد أثبت ما في الحاشية، إلَّا أنَّنا سنسيرُ معه في هذا الأمر؛ لشُهرة الرّواية المثبتة، وللسِّياق الذي يأباه من جهةٍ.

فالخنوعُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ذلٍّ، وخضوعٍ، وضَعةٍ؛ فيقال: خضعَ له، وخنع، وفي الحديث: «إنَّ أخنع الأسماء إلى الله من تسمَّى باسم ملك الأملاك»؛ أي: أذلّها، ويقال:

(١) في (أ): ٤٩ (الخنوع)، وفي الهامش (٦) من الصحيفة نفسها كتب «في نسخة من (م): الخضوع، بدل الخنوع، وفي هامش (ل): الخنوع، الذلَّة والخضوع»، وفي سكون: ٧٤ (الخنوع)، وفي هامش (٤): كتب تحتها (الذلّ)، وفي أردشير:٨ «الخنوع، وكتب تحتها: خنع أي: ذلّ»، وفي ضبط الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ (الخضوع) وفي الهامش: ٥ «في الأصل: الخشوع، وما أثبت في حاشية الأصل، وبقيَّة النسخ».

(٢) نهج البلاغة: ٤٢.

(٣) لاحظ: الصحيفة السادسة من نسخة الأصل، نسخة ابن المؤدّب.

أخنعتني إليه الحاجةُ إذا ألجأته إليه، وأذلّته له، ومن الباب الخانع الفاجر، يقال اطلعت منه على خنعة؛ أي: فجرة.

وهو قوله: ولا يرون إلى جاراتهم خُنعا[١]

أي: لا يخضعون لهن بالقول، بل يغازلونهنَّ[٢].

ومنه قول الآخر:

لعلَّك يومًا أن تلاقى بخَنعة

فتنعب من واد عليك أشائمه[٣]

وتفسير الخنوع بالخُضوع ليس صحيحًا منه، وهو الدَّورُ المسموح به تجوُّزًا، لاسيَّما في المعجم العربيّ الذي يفسِّر اللفظ بالمرادف، والشَّبيه، كتفسير الجوع بالسَّغب، والسَّغب بالجوع على اختلاف الأبواب.

وخناعة: أبو قبيلة، وهو خناعة بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر[٤].

والخَنْعةُ: الرِّيبة، ووقع في خَنْعة أَي في ما يُسْتَحيى منه، وخنَع به يَخْنَع: غَدَر، والخانعُ: الذَّليل الخاضع؛ ومنه حديث عليّ، يصف أبا بكر: وشَمَّرْتَ إِذ خَنَعوا[٥].

(١) ديوان الأعشى: ١٠٧، ديوان الأعشى، ميمون قيس، د.ت، د.ط، وتتمة البيت:

هم الخَضارِمُ، إن غابُوا وإن شَهِدُوا ولا يُرَوْن إلى جاراتِهم خُنُعا

وهو البيت ٤٣ من قصيدة مدح هوذة بن عليّ الحنفيّ.

(٢) انظر: العين: ١/ ١٢١، مقاييس اللغة: ٢/ ٢٢٣.

(٣) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في مقاييس اللغة: ٢/ ٢٢٣، ومجمل اللغة: ٢/ ٢٢١، ولاحظ: المعجم المفصَّل في شواهدالعربيَّة: ٧/ ١١٦.

(٤) انظر: الصِّحاح: ٣/ ١٢٠٦.

(٥) انظر: اللسان: ٨/ ٨٠.

والخانع: الذي يَضَع رأْسه للسَّوْءة يأْتي أَمرًا قبيحًا؛ فيرجع عارُه عليه؛ فيستَحْيي منه ويُنَكِّس رأْسه[1].

وممَّا مضى من معجمات، تكون المعاني المتسوِّرة لهذا اللفظ، هي:

١. الذلُّ.

٢. اللجوء.

٣. الفجور.

٤. الخضوع بالقول.

٥. الرِّيبة.

٦. الغدر.

٧. وضع الرأس حياءً.

وكلُّ هذه المعاني ترد إلى معنى جوهريّ، وهو (الذلُّ، والتذلُّل)، على اختلاف أسبابه؛ فاللجوء ذلٌّ، وكذلك الفُجور: تذليلٌ من النَّفسِ، والغدر: ذلّ وتذليل بسبب سوء السُّمعة، والمآل؛ والرِّيبة: ذلّ، وهكذا باقي المعاني.

ومن هذا المعاني نصلُ إلى نتيجة هو أنَّ الخنوع لا يكون إلَّا في التذلُّل العمليّ، وأن يكون هذا الخنوع عيانًا، ومُشاهدًا، وهو ما يصبُّ في المعاني اللغويَّة للخُنوع.

ويكون الخنوع لآدمَ بالقيام بأعمال من شأنها أن تجعل هذا التذلُّل ظاهرًا، وملموسًا، لإيجاد مبدأ (التكرمة)، وذلك بالسِّجود له سجود تكريم، وسجود مأمور.

(١) اللسان: ٨/ ٨٠.

ويلمح الفرديَّة في هذه المفردة، لا الجمع.

وأمَّا الخضوع: وفيه أصلان: أحدهما تطامنٌ في الشيء، والآخر جنسٌ من الصَّوت.

فالأوَّل الخضوع؛ قال الخليل: خضع خضوعًا، وهو الذلُّ، والاستخذاء، واختضع فلانٌ؛ أي: تذلَّل، وتقاصر، ورجل أخضع وامرأة خضعاء، وهما الرَّاضيان بالذلِّ، قال العجَّاج:

وصرت عبدًا للبعوض أخضعا
يمصني مصَّ الصبيّ المرضعا[1].

وقال غيره: خضع الرَّجل، وأخضعه الفقر، ورجل خضِعة يخضع لكلِّ أحد.

قال الشيبانيّ: الخضع انكباب في العنق إلى الصدر، يُقال رجل أخضع، وعنق خضعاء.

قال بعض الأعراب: الخضع في الظلمان انثناء في أعناقها.

قال أبو عمرو: المختضع من اللواحم المتطامن رأسه إلى أسفل خرطومه.

قال أبو حاتم (ت٢٥٠هـ): الخضعان أن تخضع الإبل بأعناقها في السَّير، وهو أشدُّ الوضع.

قال: ويقال أخضعه الشَّيب، وخضعه.

قال: ويقال اختضع الفحل النَّاقة، وهو أن يسانها؛ ثمَّ يختضعها إلى الأرض بكلكلة.

ويقال: خضع النَّجم إذا مال للمغيب، قال ابن دريد (ت٣٢١هـ) خضع الرَّجلُ، وأخضع إذا لانَ كلامُه.

وفي الحديث نهى أن يخضع الرَّجل لغير امرأته؛ أي: يلينُ كلامُه.

(١) لاحظ: ديوان العجاج.

وأمَّا الآخر؛ فقال الخليل: الخيضعة التفاف الصَّوت في الحرب، وغيرها، ويقال هو غبار المعركة.

وهذا الذي قيل في الغبار فليس بشيء؛ لأنَّه لا قياس له إلَّا أن يكون على سبيل مجاورة.

قال لبيد في الخيضعة: الضاربون الهام تحت الخيضعة[1].

قال قوم: الخيضعة معركة القتال؛ لأنَّ الأقران يخضع فيها بعض لبعض، وقد عادتِ الكلمة على هذا القول إلى الباب الأوَّل.

قال ابن الأعرابيّ: وقع القوم في خيضعة؛ أي: صخب، واختلاط[2].

بعد هذا العرض المعجميّ، تتبيَّن لك المعاني المعجميَّة، وما المرجَّح للقراءة الصَّحيحة.

٤٢. قبله، قبيله[3].

في قول أمير المؤمنين: «والْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِه، فَقَالَ:.. وقبيله»، «.. وقبله».

وقد وردَ عن البيهقيّ: (وقبيله)، ويُروى (قَبلهُ)، وفي ذلك نظرٌ؛ لأنَّ القَبيل في اللغة جماعة من قوم شيء مثل الرُّوم، والعَرَب، والعَجَم، ولا يقال القَبيل إلَّا لجماعةٍ فيهم رهطٌ منَ الرّوم، والعَرَب، والعَجَم، ولم يخلقِ الله تعالى، مع آدم هؤلاء حتَّى وافقوا إبليسَ في ترك السّجود؛ فالأولى: (وقُبُلهُ)[4].

(١) ديوان لبيد: ٧، ولاحظ: الأغاني: ١٥/ ٢٤٣.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ١٨٩-١٩١.

(٣) في (أ): ٥٠ (قبيله)، وفي (سكون): ٧٤ (قبيله)، وفي أردشير: ٨ (قبيله)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ (قبيله).

(٤) معارج نهج البلاغة: ٦٥.

وفي منهـاج البراعة الراونديّ: ١/ ٧٠ (قبيله)، وفي شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٩٧ (قبيله)، وفي=

كما ترى! فقد أجمعتِ المصادر المطبوعة، والمخطوطة على (قبيله)، سوى ما تفرَّد به البيهقيّ في المعارج بترجيح (قبله)، وقبل تحديد اللفظ المحتمل أرى أن نعودَ إلى اللغة، ونعلم مرتكزَ التَّرجيح لدى البيهقيّ.

قال في الصِّحاح: «والقبيل: الكفيلُ، والعريف، وقد قبل به يقبل، ويقبل قبالة، ونحن في قبالته؛ أي: في عرافته.

والقَبيل: الجماعة تكون من الثَّلاثة فصاعدًا من قومٍ شتَّى، مثل الرُّوم، والزِّنج، والعَرَب: والجمع قُبُل»[1].

وفي المقاييس: القاف، والباء، واللام أصل واحدٌ صحيح تدلُّ كلمُه كلُّها على مواجهة الشَّيء للشَّيء، ويتفرَّع بعد ذلك.

فالقبل من كلِّ شيءٍ خلاف دبُرِه.

والدَّبير ما أدبرت به، وذلك معنى قولهم ما يعرف قبيلًا من دبيرٍ[2].

والقِبلة سمِّيتْ قبلةً؛ لإقبال النَّاس عليها في صلاتهم، وهي مُقبلة عليهم أيضًا، ويقال فعل ذلك قبلًا؛ أي: مواجهة، وهذا من قبل فلان؛ أي: من عنده كأنَّه هو الذي أقبلَ به عليك.

والقِبال الزِّمامُ، والقابلةُ: الليلة المقبلة.

=معارج نهج البلاغة للبيهقيّ: ٦٥ (قبيله)، ورجَّح قراءة (قبله).

وفي قد سقطت من شرح ابن ميثم: ١/ ١٦٩، وفي منهاج البراعة للخوئيّ: ٢/ ٥٥ (قبيله، خ جنوده) على نسخة بدل.

وأمَّا محمَّد عبده: ١/ ٢١، فقد سقطت هذه الكلمة من تحقيقه، وكذلك تحقيق الصالح: ٤٢، سقطت.

(١) الصِّحاح: ٥/ ١٧٩٧.

(٢) لاحظ: جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٨٦.

والعام القابل المقبل، ولا يقال منه فعل، والقابلة التي تقبل الولد عند الولادة.

والقبول من الرياح الصِّبا؛ لأنَّها تقابل الدبّور، أو البيت.

والقُبل: النَّشز من الأرض يستقبلك، والقبيل الكفيل يقال قبل به قبالة؛ وذلك أنَّه يقبل على الشَّيء يضمنه.

وافعل ذلك إلى عشر من ذي قبل؛ أي: في ما يُستأنف من الزَّمان.

ويقال: أقبلنا على الإبل إذا استقينا على رؤوسها، وهي تشرب، وذلك هو القبل.

وفلان مقتبل الشَّباب لم يبنْ فيه أثرُ كبرٍ، ولم يول شبابه.

وقبائل الرَّأس شُعبُه التي تصل بينها الشؤون، وسمِّيت ذلك لإقبال كلِّ واحدةٍ منها على الأخرى، وبذلك سمِّيت قبائل العرب.

وقبيل القوم عريفُهم، وسمِّي بذلك؛ لأنَّه يقبل عليهم يتعرَّف أمورَهم.

قال:

أوَ كلَّما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا إلى قبيلهم يتوسَّم[1]

ونحن في قبالة فلانٍ؛ أي: عرافته وما لفلان قبلة؛ أي: جهة يتوجَّه إليها، ويقبل عليها.

ويقولون القبيل جماعة من قبائل شتَّى، والقبيلة بنو أبٍ واحدٍ.

(١) ذكره بـ (قبيلهم) ابن فارس في المقاييس: ٥/ ٥٣، وتفرَّد بهذه الرواية، جاء في كتاب سيبويه: ٤/ ٧، «وقال طريف بن تميم العنبريّ:

أوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ بعثُوا إليَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

يُريد عارفهم».

وهذا عندنا قد قيل، وقد يُقال لبني أبٍ واحدٍ قبيل[١].

وفي اللسان: والقَبيل: الجماعة من النَّاس يكونون من الثَّلاثة؛ فصاعدًا من قومٍ شتَّى، كالزِّنْج، والرُّوم، والعَرَب، وقد يكونون من أرومةٍ بعينها، وربما كان القَبيل من أَبٍ واحدٍ كالقَبيلة، وجمع القَبيل قُبُل[٢].

هذه موارد اللغة، وهي لا تخرج عن:

١. العَريف، والكفيل.

٢. الجماعة منَ الثَّلاثة فصاعدًا من قومٍ شتَّى، مثل الرُّوم، والزِّنج، والعَرب، ومنه القَبيلة أيضًا.

٣. المواجهة، أو الجهة التي تكون في الشَّيء، أو جهته.

٤. خلاف الدُّبر، وهي بالتَّعريف بالخلاف.

٥. في ما يُستأنف من الزَّمان.

٦. مواجهة المولود عند الولادة، ومنه أخذ لفظ القابلة، وهو يشابه الفقرة الثَّالثة؛ فقد يتكون المواجهة مادِّيَّة، أو زمانيَّة انتزاعيَّة.

إذن معنى هذه المادَّة لا يخرج عن هذه المعاني الستَّة الكلِّيَّة (المعرّف، الجماعة، المواجهة، الخلاف، الاستئناف)، وقد يزيد.

فالقبيلُ، والقبيلةُ، والقبائلُ: صفةٌ كالشَّريف، ويدلُّ على ثبوت الصِّفة في ذات؛ فالقبيل هو المتَّصف بكونه مُواجهًا، ومتمايلًا في ذاته، والقبيلة إن كان التَّاء للتأنيث

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٥١-٥٣.
(٢) اللسان: ١١/ ٥٤١.

والإفراد؛ فظاهرٌ، ويكون النَّظر إلى جهة الاسميَّة، وإن كان وصفًا للجماعة، كما في جماعة كثيرة: فيكون معناه: أفراد يتحقَّق في ما بينها مواجهة، وتمايل، ومحبَّة، وأنس[1].

وحصر المعاني اللغويَّة في مادَّةٍ بعينها تضييع للدَّلالة، وهذا ما وقع فيه البيهقيّ، وأضاع المفهوم لأمرَين:

١. لم يأخذْ باحتمالات اللغة؛ بل حصر نفسَه بالجماعة من العرَب، والزِّنج، والرُّوم؛ ما دعاه أن يقول «ولم يخلقِ الله تعالى، مع آدم هؤلاء حتَّى وافقوا إبليسَ في ترك السّجود».

فلو أنَّه نظَرَ إلى مُطلق الجَماعة، بغضِّ النَّظَر عن جِنسهم، لما فوَّت الدَّلالة؛ بل لو أنَّه نظَر على أنَّ لفظ القبيل اسم جنس يطلقُ على الواحد، والجمع؛ لما فاته ذلك أيضًا.

نعم: الضَّمائر التي جاءت تاليًا (اعترتهم، عليهم، تعزَّزوا) تدلِّل على الجمعيَّة. فضلًا عن توجيه البيهقيّ للقبل بمعنى الجهة، وهو أمرٌ غير منطقيّ.

٢. ذكر القرآن الكريم، والأحاديث، والكلام الفصيح، هذا اللفظ.

ففي القُرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ الأعراف: ٢٧، و(قبيله) هنا: جماعته.

جاء في كمال الدين وتمام النِّعمة «.. أوحى الله ﷻ إلى الملائكة أن قوموا صفوفًا بالتَّسبيح، والتَّحميد، والتَّمجيد، والتَّكبير لكرامة مولودٍ ولِدَ لمحمَّد في دار الدُّنيا، وأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل عليه السلام أن اهبط إلى نبيِّي محمَّد في ألف قبيلٍ،

(١) التحقيق في كلمات القرآن: ٩/ ١٨٧، ولاحظ: المفردات للراغب: ٣٩٢، والزاهر لأبي البركات: ٤٩٣.

والقبيل ألف ألف من الملائكة على خيول بلق، مسرجة ملجمة، عليها قباب الدرِّ، والياقوت..»[1].

في أمالي المفيد: وقد أنشد شعرًا لأبي التيّهان، في قصيدة في أمير المؤمنين أوَّلها:

إنَّ قومًا بغوا عليك وكادوك

وعابوك بالأمور القباح

ثمَّ يقول:

فخذ الأوسَ، والقبيل من الخزرج

بالطَّعن في الوغى، والكفاح

لذلك تكون قراءة (وقبيله) هي الرَّاجحة.

والآن نأتي إلى أقوال العلماء في تعبير أمير المؤمنين:

والمراد بقوله عليه السلام: «**وقبيله**» إمَّا ذريَّته بأن يكون له في السَّماء نسلٌ، وذريَّة، وهو خلاف ظواهر الآثار، أو طائفة خلقها الله في السَّماء غير الملائكة، أو يكون الإسناد إلى القبيل مجازيًّا لرضاهم بعد ذلك بفعلِه[2].

وفي موضع آخر منَ البحار[3]: والقبيل في الأصل: الجماعة تكون من الثَّلاثة فصاعدًا من قومٍ شتَّى؛ فإن كانوا من أبٍ واحدٍ؛ فهم قبيلةٌ، وضمُّ القبيل هنا إلى إبليس غريب؛ فإنَّه لم يكن له في هذا الوقت ذريَّة، ولم يكن أشباهه في السَّماء، فيمكن أن يكون المراد به أشباهه من الجنِّ في الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسُّجود أيضًا، وعدم ذِكرهم

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٣.

(٢) البحار: ١١/ ١٢٣.

(٣) البحار: ٦٠/ ٢١٣، ولاحظ: منهاج البراعة الخوئيّ: ٢/ ٥٥.

في الآيات، وسائر الأخبار؛ لعدم الاعتناء بشأنهم.

أو المراد به طائفة خلقها الله تعالى في السَّماء غير الملائكة، ويمكن أن يكون المراد بالقبيل ذريَّته، ويكون إسناد عدم السّجود إليهم لرضاهم بفعله، كما قال عليه السلام في موضع آخر: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا والسُّخْطُ- وإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ- فَعَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوه بِالرِّضَا- فَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ الشعراء: ١٥٧»[١].

ولاحظ ما ذكره الطوسيّ في تفسير هذه الألفاظ (قبلًا، قبيلًا)، وتوجيهُها في تفسيره التِّبيان[٢].

٤٣. اعترتهم، اغترتهم[٣].

في قول أمير المؤمنين: «اعترته = اعترتهم الحميَّةُ»، و«اغترَّتهم الحميَّةُ»[٤].

وفي معارج نهج البلاغة «والرواية الصَّحيحة: اعترتْهُ الحميَّة بالعين غير معجمةٍ»[٥].

وثمَّة مشكلٌ آخر غير الإعجام، وعدمه في اللفظَينِ، وهو الإفراد والجمع في ضمير (اعترتهم = اعترته)، و(عليهم = عليه)، وهكذا..

(١) نهج البلاغة: ٣١٩ (الصالح).

(٢) التبيان للطوسيّ: ١/ ٢١٣، التبيان: ٧/ ٥٩، التبيان: ١٠/ ٨٦.

(٣) في (أ): ٥٠ (اعترتهم)، وفي (سكون): ٧٤ (اعترتهم)، وفي الهامش: ٧ الصحيفة: ٧٤ (اعترتهم، واغترَّتهم)، وفي أردشير: ٨ (اعترتهم)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ (اعترتهم)، وفي تحقيقه هذا: أشكل لفظ (الحميَّةَ) بالنصب، وهو خطأ؛ والصواب بالرفع؛ فالحميَّةُ هي التي قامت بالاعتراء.

(٤) نهج البلاغة: ٤٢.

(٥) معارج نهج البلاغة: ٦٥.

فبالرُّجوع إلى تحقيق الدكتور صلاح الفرطوسيّ، الذي هو رجع إلى أقدم النُّسخ، لا نجد هذه القراءة (بالإفراد)، وكذلك نُسخة ابن أردشير، وابن السكون كما مرَّ.

نعم، بالإفراد قرأها: محمَّد عبده[١]، وصبحي الصالح[٢]، والبيهقيّ، كما مرَّ، وابن ميثم البحرانيّ[٣]، والمجلسيّ في البحار[٤]، وفي تفسير المحيط الأعظم للآمليّ (من أعلام القرن الثامن الهجريّ)، جعلَها نسخة بدلٍ[٥].

وسبب هذا الخلاف:

١. جعل إبليس وقبيله جمعًا؛ فهذا إمَّا أنَّه عدَّ (القبيل) جمعًا، كما في أحد الآراء، أو مفردًا؛ فيكونان مثنًّى، ولكن لم يثنِّهما؛ لأنَّ لا وجود للمثنَّى في العربيَّة سوى التَّوكيد، كما أثبته في محلِّه مستعينًا بالبحث المقارن، والعُرف اللغويّ[٦].

٢. إسقاط لفظ (قبيله) في بعض الكتابات؛ فتفرَّد وجود (إبليس) في السِّياق وحده، وهذا ما دعا من ضبَطها بالإفراد أن يسقط الجمع، وعلامته من الضَّمير.

أمَّا قراءة البيهقيّ؛ فهو لم يرَ لقراءة (قبيله) من ترجيح؛ بل قراءته (قبله)؛ فيكون التوجيه (إلَّا إبليسَ، وقبلَه اعترته الحميَّة)، وهي قراءة تستقيم فيها الضَّمائر؛ فهو قد

(١) ١/ ٢١.
(٢) ٤٢.
(٣) ١/ ١٦٩.
(٤) ٧٤/ ٣٠٣.
(٥) تفسير المحيط العظيم: ٢/ ١٥١.
(٦) جاء في البحار: ٧٣/ ٢٤ «ولذلك قال بعض الأصوليِّين إنَّ المثنَّى جمعٌ»، وهو كذلك، فالجمع ضمٌّ، وكذلك المثنَّى.

جعل إبليس وقبله واحدًا نظرًا إلى التَّوجيه اللغويّ، أو بالنَّظَر إلى عود الضَّمير؛ فهو قد أعاده إلى البعيد، والله العالم.

أمَّا القراءة المصحَّفة، فنحن هنا أمام جذرَين في اللغة (عَرَوَ)، و(غَرَّ).

أمَّا عرو فكما جاء في العين: عراه أمرٌ يعروهُ عروًا إذا غشيه، وأصابه، يقال: عراه البرد، وعرته الحمَّى، وهي تعروهُ إذا جاءته بنافضٍ، وأخذته الحُمَّى بعروائها.

وعري الرَّجل فهو معرو، واعتراه الهمَّ، عامٌّ في كلِّ شيء، حتَّى يُقال: الذَّلف[1] يعتري الملاحة، يعني مواصفات الأنف المذكورة، من صغرٍ، واتِّزانٍ.

ويُقال: ما من مؤمن إلَّا وله ذنبٌ يعتريه، قال أعرابّي: إذا طلع السّماك فعند ذلك يعروك ما عداك من البرد الذي يغشاك[2].

إذن الأصل الواحد في المادَّة: هو الوصول النَّافذ، ويختلف الغرض المقصود فيه باختلاف الموارد؛ فيقال: عراه الهمُّ، أو البردُ، أو أمر آخر، إذا وصل نافذًا فيه، وعراه إذا قصده، ووصله نافذًا لطلب حاجة ولمقصود، واعتراه إذا اختار الوصولَ، والنُّفوذ.

وأمَّا الإصابة، والغشيان، والقصد، والملازمة، والثَّبات، وغيرها؛ فهي من آثار الأصل[3].

وأمَّا غرَر فهي:

(١) وردت في العين بالدال، وهي بالذال، وهي من صفات الأنف، لاحظ: المخصَّص: ٣/ ق٣/ ٣٠٣، و اللسان: ٩/ ١١١، التاج: ١٢/ ٢١٩.

(٢) انظر: العين: ٢/ ٢٣٣، ولاحظ المخصَّص: ٣/ ق٣/ ٣٠٣.

(٣) انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٨/ ١٠٣.

الغَرر كالخَطر، و غرَّر بماله؛ أي: حمله على الخطر، والغرور: من غرَّ يغرُّ فيغترُّ به المغرور، والغَرور: الشَّيطان، والغارُّ: الغافل، والغرارة: وعاء، والغرغرة: التَّغرغر في الحلق، والغرَّة: خالص من مال الرَّجل[1].

هذا ملخَّص ما ذكَرَته المعجمات في هذَين اللفظَين، ولهما معانٍ أُخَر ضَربْنا عنها.

واللفظ الرَّاجح هو (اعترتهم)، لا (اغترَّتهم)؛ لأسبابٍ:

١. المعاني اللغويَّة؛ فمعنى اعترتهم متحقِّق بحسب المعاني اللغويَّة، وأمَّا (اغترَّتهم) فليس كذلك؛ فضلًا عن أنَّ إسناد الاغترار للحميَّة غير صحيح، كما سيأتي.

٢. السِّياق، فالحميَّة هي التي تعتري الأشياءَ، والأشخاص، أمَّا الاغترار فلا يحصل منها؛ لأنَّها من لوازم الذُّنوب تحصل بسببِ تراكمِها.

٣. الإسناد، فلو أراد (اعترتهم الحميَّة) لكان كلامُه صحيحًا؛ وإمَّا إذا أراد (اغترَّتهم) فلا؛ فلو أراد إسناد الاغترار للحميَّة فعليه أن يقول: (أغرَّتهم الحميَّةُ)، لا اغترتهم.

فضلًا عن قولنا: اغترَّ بالأمر، لا اغترَّه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ- فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ..**»[2].

أمَّا (عروَ) فقد ورد في كلامِه أيضًا: «**وإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عن شَرائِطِ المِلَّةِ**»[3]، وقوله: «**بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ**»[4].

(١) العين: ٤/ ٣٤٦، وقد ذكرَ لها ابن فارس أصولًا ثلاثة، لاحظ: مقاييس اللغة: ٤/ ٣٨٠ وما بعدها.
(٢) نهج البلاغة (الصالح): ٣٩٧.
(٣) المصدر نفسه: ٤٩٨.
(٤) المصدر نفسه: ٣٣٩.

٤٤. الشِّقوة، والشَّقوة[١].

جاء في مقاييس اللغة: الشِّين، والقاف، والحرف المعتلُّ أصلٌ يدلُّ على المعاناة، وخلاف السُّهولة، والسَّعادة، والشَّقوة خلاف السَّعادة، ورجل شقيّ بيِّنُ الشّقاء، والشّقوة، والشّقاوة ويقال: إنَّ المشاقاة المعاناة، والممارسة، والأصل في ذلك أنَّه يتكلَّف العناء، ويشقي به؛ فإذا هُمِز تغيَّر المعنى، تقول: شقأ ناب البعير يشقأ إذا بدا قال الشَّاقئ النَّاب الذي لم يعصل[٢].

ههنا أمرٌ في الفكر اللغويّ أحبُّ أن أقول فيه شيئًا، وهو التَّفسير بالضدِّ، أو بالنَّقيض؛ فهنا فسَّر الشّقوة خلاف السَّعادة، وفي مجمل المعجم العربيّ هذا الأمر موجودٌ.

أقول:

١. إنَّ هذا التَّفسير اللفظيّ لا يعدو أن يكون استحسانيًّا، لا يعطي الدَّلالة المرجوَّة من التَّفسير اللغويّ؛ فالدَّلالة هي أن أعرف:

أ. ماهيَّة اللفظ.

ب. مصاديق اللفظ.

ج المفاهيم السِّياقيَّة له إن وجِدَت.

د. ردُّ المعنويّ إلى الحسِّيّ.

وهل هذه الأمور تتحقَّق بالتفسير بالضدِّ، أو الخلاف، أو النَّقيض؟.

٢. إنَّ المعجمات العربيَّة، وهذا من موارد النَّقص فيها، ابتعدتْ عن التَّفسير

(١) في (أ): ٥٠ (الشِّقوة)، وفي (سكون): ٧٤ (الشِّقوة)، وفي الهامش: ٨ (الشِّقوة، والشَّقوة)، وفي أردشير: ٨ (الشِّقوة)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ (الشِّقوة)، وفي الهامش: ٨ «بكسر الشين وفتحها في: ج، وفوقها معًا..».

(٢) مقاييس اللغة: ٣/ ٢٠٢.

المصطلحيّ للمفاهيم اللغويَّة؛ فالمصطلح هو الرَّحيق المختوم لمعرفة المعنى عند الفِئة التي استعملته؛ مثلًا: الشَّقاوة عن علماء العرفان أو التصوُّف ليستْ هي عند الفقهاء، وما عند اللغويِّين ليس عند المفسِّرين؛ فالدَّلالة عندهم ما بين تضييق، وتوسُّع.

٣. عدم ذهاب أصحاب الفنِّ من اللغويِّين لتفسير هذه الألفاظ، ألفاظ المعاني إلى من استعملها؛ وأعني بهم أهل بيت العِصمة، ولهم في ذلك مصاديق، وتفسيرات رائعة، ودونك كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، و(الطراز الأوَّل) لابن معصوم المدنيّ (ت١١٢٠هـ)؛ بل إنَّ السيِّد المدنيّ يبدأ من العصر الجاهليّ، ثمَّ الإسلاميّ، واستعمالها القرآنيّ، واستعمالها عند أمير المؤمنين في نهج البلاغة، وعند الإمام زين العابدين في صحيفته السجَّاديَّة، ثمَّ المثل، وغيرها..

وأضرب لذلك مثالَينِ:

الأوَّل: لفظ (الفئام)، في رواية أنقلها عن الوسائل «.. عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنَّه اتَّفق في زمانه الجمعة، والغدير فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك اليوم؛ ثمَّ ذكر خطبته عليه السلام بطولها، إلى أن قال: **ثمَّ إنَّ الله تعالى جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدَين عظيمَينِ كبيرَينِ، لا يقوم أحدهما إلَّا بصاحبه ليكمل عندكم جميل صنيعه**؛ ثمَّ ذكر من فضل يوم الغدير شيئًا كثيرًا جدًّا، إلى أن قال: **فالدِّرهم فيه بمائة ألف درهم، والمزيد من الله عزَّ وجلَّ، وصوم هذا اليوم ممَّا ندب الله تعالى إليه، وجعل الجزاء العظيم كفاءً له عنه، حتَّى لو تعبَّد له عبد من العبيد في الشَّبيبة من ابتداء الدُّنيا إلى تقضيها صائمًا نهارَها، قائمًا ليلَها إذا أخلص المخلص في صومِه لقصرت إليه أيَّام الدُّنيا عن كفائه، ومن أسعف أخاه مبتدئًا، وبرَّه راغبًا، فله كأجر من صام هذا اليوم وقام ليلته، ومن أفطر مؤمنا في**

ليلته، فكأنما فطّر فئامًا وفئامًا يعدُّها بيده عشرة؛ فنهض ناهضٌ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، ما الفئام؟ قال: **مائة ألف نبيّ، وصدِّيق، وشهيد؛ فكيف بمن تكفَّل عددًا من المؤمنين والمؤمنات، وأنا ضمينُه على الله تعالى الأمان من الكفر والفقر..**»[1].. الرواية.

وفي رواية الاختصاص عن المفيد، وهي عن الإمام الصادق عليه السلام «عن ربعيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **مَن أطعم أخًا له في الله كان له من الأجر مثل من أطعم فئامًا من النَّاس**، قلت: جُعلتُ فداك ما الفئام من النَّاس؟ قال: **مائة ألف من النَّاس**»[2].

الثاني: لفظ (الضَّاوي): «عنه صلى الله عليه وآله **(لا تنكحوا القرابة القريبة، فإنَّ الولد يُخلق ضاويًا)**؛ أي نحيفًا»[3].

وفي العين: «الضَّوى: مقصور، مصدر الضَّاوي، وضوي يضوي ضوًى فهو ضاوٍ، وهذا الذي يولَد بين الأخ، والأخت، وبين ذوي المحارم؛ لأنَّ ذلك يضويه؛ أي: يوهن قوَّته»[4].

والآن لنعُد إلى اللفظة بقراءَتَين (الشِّقوة، والشَّقوة)، وستأتي ألفاظٌ مغايرتُها الحذف، وإن كان الأكثر من الشُّراح ضبطها بالكسر، جاء في شرح ابن أبي الحديد «والشِّقوة، بكسر الشِّين»، وفي البحار: «والشِّقوة بالكسر: نقيض السَّعادة»[5].

وفي منهاج البراعة «والشِّقوة: بكسر الشِّين الشَّقاوة»[6].

والتَّرجيح للكسر؛ لسببَين:

(١) الوسائل: ١٠/ ٤٤٤-٤٤٥.
(٢) الاختصاص: ٣١.
(٣). التذكرة: ٥٦٩.
(٤) العين: ٧/ ٧٣.
(٥) البحار: ١١/ ١٢٣.
(٦) منهاج البراعة، الخوئيّ: ٢/ ٥٥.

١. في القرآن الكريم تحقيق لهذه اللفظة وترجيح، قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ المؤمنون: ١٠٦.

فالذِّكر الحكيم ذكرها بالكسر، لا بالفتح؛ فتكون (الشَّقوة) بالفتحِ لُغيَّةً.

٢. أمير المؤمنين ذكر هذه اللفظة على نحو التناصِّ القرآنيّ، وكأنَّه يقول: غلبت عليهم الشِّقوة المعهودة في القرآن الكريم بقوله ﴿غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا..﴾ المؤمنون: ١٠٦.

أو الذي أرادهُ أمير المؤمنين جِنس الشِّقوة، بحسب توجيه اللام، أن تكون للعهد، أو للجِنْس.

من جهة أخرى نقول: إنَّ القضيَّة لا تعدو أن تكون فرقًا بين مصدَرَي المرَّة، والهيأة، وهو أمر ليس بذي ثمرةٍ، والله العالم.

٤٥. النَّظِرة، والنَّظْرة[١].

٤٦. للسُّخطة، وللسَّخطة[٢].

في قول أمير المؤمنين: «فَأَعْطَاه اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلسُّخْطَةِ»[٣].

في شرح ابن ميثم «والنَّظرة بفتح النُّون، وكسر الظَّاء الإمهال، والسَّخط:

(١) في (أ): ٥٠ (النظِـرة)، وفي سـكون: ٧٤ (النظِـرة)، وفي الهامـش ١٠ في الصحيفـة نفسـها: (النظْرة)، بدل (النظِرة)، وفي أردشير: الصحيفة ٨ (النظِرة)، وكتب تحتها «التأخير، المهلة»، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ (النظِرة).

(٢) في (أ): ٥٠ (للسَّـخطة) بالفتـح، وفي سـكون: ٧٤ (للسُّـخطة) في المتـن، وفي الهامـش ١١: «للسَّخطة، وللسُّخطة معًا»، وفي نسخة (ست) (للسَّخطة)، وفي أردشير: ٨ (للسّخْطة)، وتوجد أشبه بالكسرة في اللفظ هكذا: لِلسِّخْطَة، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ (للسَّخطة).

(٣) نهج البلاغة: ٤٢.

الغَضَب»[1].

وفي موضعٍ آخر: «وقوله: استحقاقًا للسّخطة، واستتمامًا للبليّة، وإنجازًا للعدة؛ فقد عرفتَ أنَّ البليَّة نُصب على المفعول لهُ؛ ثمَّ إنَّ فساد الوهم وابتلاء الخلق به، والشرُّ الصادر عنه أمور داخلة في القضاء الإلهيّ بالعرض، فيصدق عليه أنَّه مراد، وأنَّ الإنظار والإمهال له، وكذلك استحقاق السّخطة، وإنجاز العدة، وإطلاق لفظ السّخطة استعارة؛ فإنَّ السّخط لـمَّا كان عبارة عن حالة للإنسان يستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضيّ بأفعاله، وكان حال إبليس في إنظار الله إيَّاه، وفسوقه عن أمر ربِّه مستلزمًا لإعراض الله سبحانَه عنه، وعمَّن عصاه بمتابعته كان هناك نوع مشابهة؛ فحسن لأجلها إطلاق لفظ السّخطة؛ أمَّا العدة فتعود إلى قضاء الحكمة الإلهيَّة ببقاء الوهم إلى يوم البعث، وإنجازها يعود إلى موافقة القدر لذلك القضاء، وقال بعضهم: إنَّه لـمَّا كان هاهنا صورة مطرود، ومبعَّد، وملعون، حَسُنَ إطلاق لفظ السّخطة، واستحقاقها، وأنَّه إنَّما أُنظِر لأجلِها، وهو ترشيح للاستعارة»[2].

وفي منهاج البراعة للخوئيّ «(والنَّظِرة) بكسر الظاء، مثل كلمة اسم، من أنظرت الدين أخَّرته قال سبحانَه: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ البقرة: ٢٨٠؛ أي: تأخير، (والسُّخطة) بالضمِّ كالسّخط الغضب، وعدم الرِّضا»[3].

وكذلك الضَّبط نفسه في مفتاح السَّعادة[4].

وفي تحقيق الدكتور الصَّالح ضبطَهما هكذا: «فَأَعْطَاه الله **النَّظِرَةَ** اسْتِحْقَاقًا

(١) شرح ابن ميثم: ١/ ١٧١.
(٢) شرح ابن ميثم: ١/ ١٩٢-١٩٣.
(٣) منهاج البراعة: ٢/ ٥٦.
(٤) مفتاح السعادة: ١/ ٢٢٥.

لِلسُّخْطَةِ، واسْتِتْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ، وإِنْجَازًا لِلْعِدَةِ؛ فَقَالَ: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ ص: ٨٠-٨١»[١].

ويوجد تناصٌّ جميلٌ ذكره الإمام السَّجَّاد في دعائه «وكان من دعائه عليه السلام، بعد الفراغ من صلاة الليل، لنفسه في الاعتراف بذنبه: (.. **وقد استحوذ عليّ عدوُّك الَّذي استنظرك لغوايتي فأنظرته، واستمهلك إلى يوم الدِّين لإضلالي فأمهلته، فأوقعني، وقد هربتُ إليك من صغائر ذنوب موبقة، وكبائر أعمال مُردية، حتَّى إذا قارفت معصيتك، واستوجبت بسوء سعيي سخطتك..**)»[٢].

قال ابن معصوم معلِّقًا عليه «وهذا قريب من قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبة له «**فأعطاه الله النظِرة استحقاقًا للسّخطة، واستتمامًا للبليَّة، وإنجازًا للعِدَة؛ فقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾**»[٣].

٤٧. أسكنَ اللهُ سبحانَهُ، وأسكنَ سُبحانَهُ[٤].

في قول أمير المؤمنين: «سْكَنَ سُبْحَانَه آدَمَ دَارًا..»[٥].

وقد تكرَّر هذا الحذف، والذِّكر في الفقرة التي تليها في قوله سلام الله عليه: «**ثمَّ بسطَ اللهُ سبحانَهُ**»[٦].

---

(١) نهج البلاغة (الصَّالح): ٤٢.
(٢) الصحيفة السجَّاديَّة: ١٤٨.
(٣) رياض السالكين: ٥/ ٥٢.
(٤) في (أ): ٥٠ (لفظ الله موجود)، وفي الهامش: ٤ (لفظ الجلالة ليس في م)، وفي (سكون): ٧٤ (لفظ الجلالة موجود)، وفي أردشير: ٨ (لفظ الجلالة موجود)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ (حُذف لفظ الجلالة) من النُّسخ.
(٥) نهج البلاغة: ٤٣.
(٦) في (أ): ٥٠ (لفظ الجلالة موجود في التحقيق)، وفي سكون: ٧٥ (موجود في المتن)، وفي=

أقول: هذا يعود إلى:

١. بسبب النُّسَّاخ؛ فعند ملاحظة التَّباين هنا في الذِّكر، والحذف تجد أنَّ لفظ الجلالة مرَّة مذكور، وأخرى محذوف، والنَّاسخ ينسخُها على حالها من دون المقابلة مع نُسخة أخرى (إن وُجد فيها الذِّكرُ).

٢. اجتهاد النَّاسخ؛ فهو عندما يرى تكرار لفظ الجلالة يقوم بحذفه؛ أو محذوف يقوم بذكره، وإلَّا عند الرجوع إلى أقدم النُّسخ التي حقَّقها الدكتور الفرطوسيّ، تجد أنَّ لفظ الجلالة موجودٌ[١].

ومهما يكن من أمرٍ؛ فذِكر لفظ الجلالة، وحذفه، ممَّا يعنى به البلاغيُّون أكثر من غيرهم، هذا مع فرض ثباته في النصِّ.

٤٨. أَرْغَدَ فيها عَيْشَهُ، أَرْغدَ فيها عِيْشَتَهُ[٢].

في قول أمير المؤمنين: «دارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَه»[٣].

وفي منهاج البراعة للراونديّ: «أرغد فيها عِيشته»[٤].

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد «أرغد فيها عِيشته»[٥]، وعند ابن ميثم

=الهامش: ٣ (لفظ الجلالة ليس في (ست)، وفي أردشير: ٨ (لفظ الجلالة موجود)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨٢ (لفظ الجلالة موجود).

(١) لاحظ: تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨٢.

(٢) في (أ): ٥٠ (عيشه)، وفي سكون: ٧٤ (عيشه)، وفي الهامش١٣: في نسخة: «عِيشتَه بدل عيشه، وفي (ست): عِيشته»، وفي أردشير: ٨: (عَيْشَهُ)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ (عَيْشهُ)، وفي الهامش ١١ «في حاشية الأصل عن نسخة: عِيشتهُ».

(٣) نهج البلاغة: ٤٣.

(٤) منهاج البراعة، الراونديّ: ١/ ١/ ٧٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ١٠٢.

كذلك[١]، وفي منهاج البراعة للخوئيّ[٢]، وفي تحقيق محمَّد عبده كذلك[٣]، وكذلك في نهج السَّعادة[٤]، وغيرها كثيرٌ[٥].

والآنَ لنمضِ إلى بيان المعنى اللغويّ لهذه المادَّة، جاء في المقاييس: العينُ، والياءُ، والشِّين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على حياةٍ، وبقاءٍ، والعيش الحياة، والمعيشة الذي يعيش بها الإنسان من مطعم، ومشرب، وما تكون به الحياة، والمعيشة اسم لما يُعاش به، وهو في عِيشة، ومَعيشةٍ صالحةٍ، والعِيشة مثل الجِلسة، والمِشية، والعَيْش المصدر الجامع، والمعاش يجري مجرى العَيش، تقول: عاشَ، يعيشُ عيشًا، ومَعاشًا.

وقال بعضُهم: عاش فلان عيشوشةً صالحةً، وإنَّهم لمتعيِّشون إذا كانتْ لهم بلْغةٌ من عيشٍ، ورجلٌ عائشٌ إذا كانت حاله حسِنة[٦].

وجاء في منهاج البراعة: «العِيشة بكسر العين كالعيش بالفتح، مصدر عاش يعيشُ، وهو الحياة، وما يعاش به من الرِّزق، والطَّعام، والخُبز، و(محلَّة) القوم منزلهم»[٧].

وفي موضع آخر: «أرغد فيها عِيشته؛ أي: جعله فيها في عِيشة واسعة، كما قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ البقرة: ٣٥»، «وآمن فيها محلَّته: نسبة الأمن إلى المحلِّ من قبيل المجاز العقليّ؛

(١) اختيار مصباح السالكين: ٧١.
(٢) منهاج البراعة، الخوئيّ: ٢/ ٨٤.
(٣) نهج البلاغة: ١/ ٢٢.
(٤) نهج السعادة: ١/ ٢٤٤.
(٥) أعني بها جملة من التفاسير التي استشهدت بكلامه عليه السلام حين يَصِلون إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ البقرة: ٣٥.
(٦) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ١٩٤.
(٧) مناهج البراعة، الخوئيّ: ٢/ ٨٤.

أي: جعلَه فيها في أمنٍ منَ الآفات، وسلامة من المكاره، والصَّدمات، وهذه من صفات الجنَّة؛ لأنَّ مَن دخلها كان آمنًا»[1].

وأرجِّح قراءة (عِيشته)، للأسبابِ الآتية:

١. القرآن الكريم وصف العِيشة التي يعيشها المتَّقون الذين ثقُلتْ موازينهم بـ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ القارعة: ٧، وعليه تكون (عِيشته) التي ألمح إليها أمير المؤمنين في نهج البلاغة من هذا النَّوع؛ فكأنَّهم يعيشون في المكان الذي منحَهُ الله له ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا..﴾ على شرط الطَّاعة؛ وهذا الشَّرط إن توافر لدى المؤمن؛ فإنَّه يعيش هذه العِيشة.

٢. إذن عندما أضاف العيشة إلى الضَّمير عنى بها هذا النَّوعَ؛ أي: عيشته المعنيَّة هناك.

٣. التَّناسقُ الجُمليّ، واللفظيّ بين الألفاظ؛ فقال سلامُ الله عليه: «**أرغد فيها عيشته**»؛ فالأولى بحسب التَّناسق اللفظيّ أن يكون التَّالي «**وآمن فيها محلَّته**»، ولم يقل (محلَّه)، مع النَّظر إلى أنَّ جميع الرّوايات، والنُّسخ اتَّفقت على (محلَّته).

٤. الكثرة، أوالشيوع؛ فإنَّ النُّسخ، والرّوايات التي ذكرت (عِيشته)، أكثر من التي ذكرت (عَيشه)، وإن كان الدَّليل استحسانيًّا كمِّيًّا؛ لكنَّه في زمرة الأدلَّة.

٤٩. واصْطفَى سُبحانَهُ من وِلدِه، واصطفى من ولَدِه[2].

هذا التَّغيير كسابقه في النُّقطة (٤٧)، قائم على مبدأ الذِّكر، والحذف؛ فلفظ

(١) مناهج البراعة، الخوئيّ: ٢/ ٨٥.

(٢) في (أ): ٥٠ (واصطفى سبحانه)، وفي سكون: ٧٥ (واصطفى سبحانه)، وفي الهامش ٤ (سبحانه ليست في ست)، وفي أردشير: ٨ (واصطفى سبحانه)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨٢ (واصطفى سبحانه).

(سبحانَه)، وإن كان جملةً اعتراضيَّة، إلَّا أنَّ معناه التَّنزيه، وتكراره في المقاطع بدءًا من موارد التأدُّب في الدُّعاء، فضلًا عمَّا موجود في المقاطع التَّالية للكلام هذا من موارد التَّعظيم، والتأدُّب.

نعم، ورد عن الخوئيّ في منهاج البراعة التفرُّد بالحذف، قال «الفصل الرَّابع عشر: فأهبطه إلى دار البليَّة وتناسل الذُّرِّيَّة، **واصطفى من ولده أنبياء** أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرِّسالة أمانتهم، لـمَّا بدَّل أكثر خلقه عهد الله إليهم؛ فجهلوا حقَّه، واتَّخذوا الأندادَ معه، واجتالتهم الشَّياطين عن معرفته»[(١)].

٥٠. بدار المَقام، وبدار المُقام[(٢)].

في قول أمير المؤمنين: «فَاغْتَرَّه عَدُوُّه نَفَاسَةً عَلَيْه بِدَارِ الْمُقَامِ»[(٣)].

في شرح ابن ميثم بضمِّ الميم[(٤)]، والخوئيّ في منهاج البراعة ضبط اللفظة بالضَّبطين، يقول: «والمَقام: بالفتح اسم مكان من قامَ بمعنى انتصب، وبالضمِّ اسم مكان من أقامَ؛ وكلاهما صحيحانِ»[(٥)]؛ يعني على تأويلٍ، وتوجيهٍ.

وفي تحقيق الدكتور الصَّالح ضبطَها بضمِّ الميم[(٦)].

(١) منهاج البراعة: ٢/ ١٢٨.
(٢) في (أ): ٥٠ (الُقام)، وفي سكون: ٧٤ (المُقام)، وفي الهامش: ١٥ (المُقام، والمَقام معًا)، وفي أردشير: ٨ (المُقام)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨١ـ ١٨٢ (المُقام).
(٣) نهج البلاغة: ٤٣.
(٤) شرح ابن ميثم: ١/ ١٦٩.
(٥) منهاج البراعة: ٢/ ٨٤.
(٦) نهج البلاغة: ٤٣.

مَقام ومُقام في القرآن الكريم:

وردت آياتٌ في القرآن الكريم فيها اللفظان، وهي:

مَقام:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ الدخان: ٥١.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الرحمن: ٤٦.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النازعات: ٤٠.

مُقام:

لم ترِدْ إلَّا مرَّة واحدة.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ الأحزاب: ١٣.

والقراءة الراجحة بالضمِّ؛ لأنَّه أراد به هنا اسم المكان الحقيقيّ الذي هو مُشتقٌّ من (أقام)، والأمر كذلك.

أمَّا بالفتح (المَقام) فالسِّياق لا يريد به الانتصاب، والقوَّة؛ إلَّا على تأويلٍ؛ وعدم التَّأويل أوْلى من التَّأويل.

٥١. مِنْ وَلَدِهِ، ومِنْ وِلدِهِ[١].

في قول أمير المؤمنين: «واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ»[٢].

والآن نأتي إلى المعنى اللغويّ لهذا اللفظ، قال ابن السكّيت: «.. ويقال في الولد الولد، والولد، قال: ويكون الولد واحدًا وجمعًا، وأنشد:

فليتَ فُلانًا كانَ في بَطْنِ أُمِّهِ
وليتَ فُلانًا كان وُلْدَ حِمارِ

قال: ومن أمثال بنى أسد: ولدك من دمى عقبيك، يعنى من ولدته»[٣].

في الصِّحاح: والوِلد: بالكسر: لغةٌ في الوَلد، ويقال: ما أدري أيّ وِلد الرجل هو؛ أي: أيُّ الناس هو، والوليد: الصبيّ، والعبد، والجمع وِلدان، ووَلَدَة[٤].

وفي منهاج البراعة للخوئيّ عرَّفها بالمِثال «والنَّسل، والوِلد نظائرُ»[٥].

---

(١) في (أ): ٥٠ (وَلَده)، وفي (سكون): ٧٥ (وَلده)، وفي الهامش ٥: (وَلَده، وَوِلده)، وفي أردشير: ٨: (وَلَده)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨٢ (وَلَده).

(٢) نهج البلاغة: ٤٣.

(٣) ترتيب إصلاح المنطق: ٤٠٢، قال الطبرسيّ في المجمع: ٦/ ٤٤٥ «قال أبو عليّ: يجوز أن يكون جمعًا كأُسد وأَسد، ويجوز أن يكون واحدًا؛ فيكون وِلد ووَلَد، كحزن وحزن، وعُرب وعَرَب؛ فلا يكون كقول معاذ إنَّه لا يكون إلَّا جمعًا، وما أنشده الفرَّاء من قوله (وليت فلانًا كان ولد حمار) يدلُّ على أنَّه واحد ليس بجمعٍ؛ فهو مثل الفلك الذي يكون مرَّة جمعًا، ومرَّة واحدًا».

(٤) الصِّحاح: ٢/ ٥٥٤.

(٥) ٢/ ١٢٩، ولاحظ: الصحيفة: ١٣٦.

وعند الرَّاونديّ: والولد المولود يقال للواحد والجمع؛ لأنَّه مصدرٌ في الأصل[1].

إلَّا أنَّ ابن أبي الحديد ردَّ قول الرَّاونديّ بقوله: «وأمَّا القُطب الرَّاونديّ؛ فقال: في قوله عليه السلام: (واصطفى سبحانَه من ولده أنبياء): الولد يقال على الواحد، والجمع؛ لأنَّه مصدر في الأصل، وليس بصحيحٍ؛ لأنَّ الماضي (فَعَل) بالفتح، والمفتوح لا يأتي مصدره بالفتْح، ولكنَّ (فِعْلا) مصدر (فَعِل) بالكسر، كقولك: ولِهت عليه ولها، ووحِمت المرأة وحمًا»[2].

وكلام ابن أبي الحديد هنا صحيحٌ تمامًا.

ومن ثمَّ لا إشكالَ في أنَّ الضَّمير هنا عائدٌ إلى آدم عليه السلام، يقول ابن ميثم البحرانيّ: «ثمَّ إن كانتِ الإشارة بآدم إلى النَّوع الإنسانيّ فنسبة الولادة إليه في العُرف ظاهرة صادقة، فإنَّ كلَّ أشخاص نوع هم أبناء ذلك النَّوع في اصطلاح أهل التَّأويل، وكذلك إن كان المراد به أوَّل شخصٍ وُجِدَ، واعلم أنَّ اصطفاء الله للأنبياء يعود إلى إفاضة الكمال النَّبويّ عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الإلهيَّة من القبولِ، والاستعداد»[3].

فتكون القراءة الأرجح (وِلْدِهِ)؛ لـ:

١. الاشتقاق كما مرَّ من قول ابن أبي الحديد.

٢. السَّياق، وعود الضَّمير؛ فقوله «من وِلده أنبياءَ» لم ينظرْ إليه أنَّه نبيٌّ واحد، ومن ثمَّ ضمائر الجمع في (ميثاقهم)، (أمانتهم)، (إليهم)، وهكذا تدلِّل على القراءة (وِلد)، لا (ولد).

(١) منهاج البراعة، الراونديّ: ١/ ٧٦.
(٢) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ١١٥.
(٣) شرح ابن ميثم البحرانيّ: ١/ ٢٠٠.

٥٢. مِيثاقَهم، وذِمامَهم[١].

في قول أمير المؤمنين: «أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ»[٢].

هٰهُنا أمورٌ أحبُّ تبيينَها:

١. كلُّ النُّسخ، والكتب التي تناولت الخُطبة، والشُّروح، والاستشهادات تخلُو من ذكر (ذِمامهم)، سوى ما ذكره محقِّق نُسخة ابن السكون (الشَّيخ العطَّار)، والغريب أنَّه لم يعيِّن رمزَها، كما فعل مع النُّسخة (ست).

٢. هناك احتمالُ وهمٍ حصَلَ من محقِّق الكتاب؛ فالنُّسخة الوحيدة التي ذكرَتْ هذه القراءة (ذمامَهم)، ربَّما هي حاشية توضيحيَّة من النَّاسخ، أو أحد المطَّلعين على النُّسخة من العلماء.

٣. هناك تشابهٌ بين رسمَي (ماقهم)[٣]، (مامهم)، مع ملاحظة نهاية الياء في كلمة (الوحي) التي يمكن أن يتوهَّم القارئ للمخطوط قراءتها ذالًا؛ فيبدو أنَّها مصحَّفةٌ، وقد قرأها المحقِّق (سلَّمه الله) ذالًا؛ فبانتْ (ذمامهم).

٤. دليل القرآن الكريم أنَّ الله قد أخذ (الميثاق) من النَّبيِّين، ولا وجود للفظ (الذِّمام) في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ..﴾ آل عمران: ٨١.

---

(١) في (أ): ٥٠ (ميثاقهم)، وفي (سكون): ٧٥ (ميثاقهم)، وفي الهامش: ٦ (في نسخة (ذمامهم)، وفي (أردشير): ٨ (ميثاقهم)، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨٢ (ميثاقهم).

(٢) نهج البلاغة: ٤٣.

(٣) لم أحصل على رمز أضعه للقاف من دون إعجام (نقاط)، ولكن للقارئ ملاحظة الكلمة تصوُّريًّا من دون نقط.

ووجود لفظ (أخذ) في الخطبة يعزِّزُ هذا التَّضمين «أَخَذَ عَلَى الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ».

٥. الجوُّ العامُّ للكلام بعده؛ فقد ذُكِر الميثاق بعد هذا الكلام ثلاث مرَّات «لِيستأْدُوهُم مِيثاقَ فِطرتِهِ»، و«مأخوذًا على النَّبيِّين ميثاقَه»، و«بين مأخوذٍ ميثاقُ علمه».

فالجوُّ العامُّ فيه اشتغال، وتهيئة للمِيثاق؛ كما هو الحال في البنائيَّة الموجودة في السُّور القرآنيَّة.

٦. الميثاق قبل التَّكليف، والذِّمام بعد التَّكليف مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ آل عمران: ٨١.

كما هو معلوم أنَّ الميثاق أُخِذَ في عالم الذَّرِّ.

وفي (ذمَّة) قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ التوبة: ٨-١٠.

٧. هناك نحو من نسبةٍ بين الميثاق، والذمَّة، أو الذِّمام؛ فكلُّ ما هو ممَّا يكون ميثاقٌ فهو في ذمام، وما يكوم ذمامًا فهو من الميثاق، جاء في تفسير الآلوسي «وزعم بعضهم أنَّ الإلّ، والذمَّة كلاهما هنا بمعنى العهد = [الميثاق]، والعطف للتَّفسير»[1].

(١) تفسير الآلوسيّ: ١٠/ ٥٦.

وفي تفسير الميزان: «ولعلَّ إلقاء المقابلة في الآية بين الإلّ، والذمَّة للدَّلالة على أنَّهم لا يحفظون في المؤمنين شيئًا من المواثيق التي يجبُ رقوبُها، وحفظُها سواء كانت مبنيَّة على أصول واقعيَّة تكوينيَّة كالقَرابة التي توجب بوجهٍ على القريب رعاية حال قريبه، أو على الجعل، والاصطلاح كالعهود والمواثيق المعقودة بحلْفٍ، ونحوه»[١].

٥٣. واجتالتهم، واختالتهم، واحتالتهم، واغتالتهم، واختبلتهم، واختتلتهم[٢].

في قول أمير المؤمنين: «واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه»[٣].

هذه أغرب قراءة إلى الآن، وأكثرُها اختلافًا.

في منهاج البراعة للرَّاونديّ في نُسخة (واحتالتهم)، وفي الهامش كتب «في نا، يد، ألف: واجتالتهم الشياطين»؛ فالمحقِّق رجَّح وضعَ (واحتالتهم) في المتن[٤].

إلَّا أنَّ ابن أبي الحديد وثَّق القِراءةَ التي أرادَها الرَّاونديّ، وهي (اجتالتهم)، يقول: «وقال الرَّاونديّ: اجتالتهم: عدلَتْ بِهِمْ، وليس بشيءٍ»[٥]؛ فالمعنى الذي عنى به «ليس

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ١٥٧.

(٢) في (أ): ٥٠ (واجتالتهم)، وفي الهامش / ٥٠- ٥١٦ «في ل (واجتالتهم)، واحتالتهم معًا، وفي نسخة منها: واغتالتهم، وفي نسخة أخرى: واختالتهم، وفي نسخة ثالثة: واختبلتهم، وفي نسخة م: واختتلتهم».
وفي (سكون): ٧٥ (واجتالتهم)، وفي الهامش:٧ «واجتالهُم، واختالتهم، واحتالتهم، جميعا كتب تحتها: اقتطعتهم»، وفي (أردشير): ٨ «اختالتهم، كتب تحتها احتالتهم، وكتب على الجانب: اجتالتهم بالجيم؛ أي: اعترتهم، معناه احتال..»، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٨٢ (اجتالتهم).

(٣) نهج البلاغة: ٤٣.

(٤) منهاج البراعة للراونديّ: ١/ ٧٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ١١٤.

بشيءٍ»، وهو العدول بهم، وليس (اجتالتهم).

في مفتاح السَّعادة كتبها باللفظينِ (اجتالتهم، احتالتهم) في موضعينِ مختلفينِ[1]، وهو خطأٌ منَ المطبوع.

المُلاحَظ هنا أنَّ الرسم الخطِّيّ مُتشابهٌ في هذه الألفاظ الستَّة؛ فالتَّبادر العلميّ يتكهَّن بقراءةٍ أصلٍ تتفرَّع عنها القِراءات البواقي؛ ولا يتأتَّى ذلك ما لم ندرسْ معاني الألفاظ، ووضعها في السِّياق الملائم..

والآن أبدأ بـ(اجتال) من مادة (جَوَل):

جاء في الصِّحاح: جال يجول جولًا، وجولانًا. وكذلك اجتال، وانجال، وجولان المال أيضًا بالتحريك: صغاره ورديئه، عن الفرَّاء، والإجالة: الإدارة، والتجوال: التطواف، وجوَّل في البلاد؛ أي: طوَّف.

قال أبو عمرو: جلت هذا من هذا، أي: اخترته منه، واجتلت منهم جولًا، أي اخترت، وتجاولوا في الحرب، أي جال بعضهم على بعض، وكانت بينهم مجاولات، والمجول: ثوب صغير تجول فيه الجارية، ومنه قول امرئ القيس:

إذا ما اسبكرَّت بينَ درعٍ ومجولِ

ويقال للرَّجُل: ما له جولٌ؛ أي: عقل، وعزيمة، مثل جول البئر[2].

وفي مقاييس اللغة: «الجيم، والواو، واللام أصلٌ واحدٌ، وهو الدَّوَران، يُقال: جالَ يجولُ جولًا، وجولَانًا، وأجلته أنا، هذا هو الأصل؛ ثمَّ يُشتقُّ منه»[3].

(١) مفتاح السعادة: ١/ ٢٩٧، ٣٣٧.
(٢) الصِّحاح: ٤/ ١٦٦٢-١٦٦٣.
(٣) مقاييس اللغة: ١/ ٤٩٥.

وجالَ في الحَربِ جَوْلَةً، جالَ في الطَّوافِ جَوْلًا، وَجَوَلانًا، مُحرَّكةً اتَّفق عليه الأزهريُّ، وابنُ سِيدَه، والصَّاغانِيُّ، والزَّمَخْشرِيُّ.

وجِيلالًا، بالكسر، وفي بعض النُّسَخ: جِيلانًا، قال ابنُ عَبّاد: جِيلالٌ: فِعْلالٌ، مِن جالَ يَجُول، وجَوَّلَ تَجْوالًا عن سِيبَوَيه، قال: والتَّفْعالُ بِناءٌ موضوعٌ للكَثْرة، كـ(فَعَّلْتُ) في فَعَلْتُ، وفي العُباب: جالَ تَجْوالًا، وفي التَّهذيب: جَوَّلَ البِلادَ تَجْوِيلاً؛ أي: جالَ فيها كثيرًا، واجْتَال، وانْجالَ طافَ.

وجالَ القَومُ جَوْلَةً: انكَشفُوا؛ ثمّ كَرُّوا، وكانتْ لهم في الحَرب جَولَةٌ، وجالَ التُّرابُ جَوْلًا: ذَهَبَ، وسَطَحَ، كـ(انْجالَ) عنِ ابنِ سِيدَه، وفي التَّهذيب: انْجِيالُ التُّرابِ: انكِشاطُهُ.

وجالَ الشيء جَوْلًا: اختارَهُ، قال أبو عمرو: جُلْتُ هذا من هذا؛ أي: اخترتُه منه.

وأجالَهُ إجالَةً أجاله بِه؛ أي: أَدارَهُ، كجالَ بِه جَوْلًا، عن الزَّجَّاج، يُقال في المَيسِر: أَجِلِ السِّهامَ، وتَجاوَلُوا: جالَ بعضُهم على بعضٍ في الحَرْب؛ أي: صالَ، وبَينَهم مُجاوَلاتٌ، ومُطارَداتٌ، قال ابنُ عَبَّاد؛ أي: مُمانَعَةٌ، ومُدافَعَةٌ، ويَومٌ أَجْوَلُ، وجَيلانِيٌّ، وجَوْلانِيٌّ، كِلاهما عن اللِّحيانِيّ.

واجْتَالَ مِنْهُم جَوْلًا؛ أي: اخْتارَ، ومَيَّز بعضَهم مِن بَعضٍ، وكذا اجْتالَ مِن مالِه جَوْلًا، وجَوالَةً؛ أي: اختارَ، قال عَمرو ذُو الكَلْبِ، يَصِفُ الذِّئب:

فاجْتالَ مِنها لَجْبَةً ذاتَ هَزَمْ[1]

(١) انظر: مجالس ثعلب: ٥٢٨، ولم ينسبه، علمًا أنَّ الطَّبعة بتحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ١٩٥٠م، علمًا أنَّ الرَّجز يُروى لعمرو ذي الكلب، أو لأبي خرَّاش الهذليّ، كما في شرح أشعار الهذليِّين: ٢٣٩.

ويُقال: أَجِلْ جائِلَتَكَ؛ أي: اقْضِ الأمرَ الذي أنتَ فيه كما في المُحكَم، وهو مَجازٌ، ومِن المَجاز: الجُولُ، بالضَّمِّ: العَقْلُ، والعَزْمُ هكذا في النُّسَخ، والصَّواب: والحَزْمُ كما هو نَصُّ التهذيب، وفي المُحْكَم: ليس له جُولٌ؛ أي: عَزِيمةٌ تمنَعُه، مِن جُولِ البئرِ؛ لأنَّها إذا طُوِيَتْ كان أشَدَّ لها، والجُولُ: لُبُّ القَلْبِ، ومَعْقُولُه.

وفي التَّهذيب: ويُقالُ للرجُلِ الذي لَه رأي ومُسكَةٌ: رَجُلٌ له زَبْرٌ وجُولٌ: أي تماسُكٌ لا يَنْهَدِمُ جُولُه، وهو مَزْبُورٌ: ما فوقَ الجُولِ مِنه، وصُلْبٌ: ما تحت الزَّبْرِ مِن الجُول، ولِـمَن لا تَماسُكَ له ولا حَزْمَ: ليس لفُلانٍ جُولٌ: أي: يَنْهَدِم جُولُهُ[1].

وبعد عرضنا لهذه المعاني لمادَّة (جول)، نستنبط منها المعاني القريبة الآتية:

١. صغار المال، والرديء منه.

٢. التجوال، وهو التطواف في البلاد.

٣. الاختيار، والتمييز.

٤ـ التجاول في الحرب، وهو الكرُّ، والصولة، يكرُّ بعضهم على بعضٍ، ويصول.

١. العقل، فلانٌ ذو جولٍ، ذو عقلٍ ومسكة، وعزيمة، وحزم.

٢. الدَّوران، والإدارة إدارة الأشياء، والأمور.

٣. قضاء الأمر، أجِلْ جائلتك: اقضِ.

٤. لبُّ القلب، ومعقوله.

أقرب هذه المعاني للنصِّ (اجتالتهم)، هو «التجاول في الحرب، وهو الكرُّ، والصولة، يكرُّ بعضهم على بعضٍ، ويصول»؛ فكأنَّ الشياطين تجول فيهم، وتكرُّ، وتصول.

(١) انظر: اللسان: ١١/ ١٣١، والتاج: ١٤/ ١٢٦ وما بعدها.

وكذلك «الـدَّوران، والإدارة إدارة الأشياء، والأمـور عن نصابها»؛ يعزز هذه المعنى وجود (عن) التي تفيد التجاوز؛ أي: أدارتِ الشياطين هؤلاء عن المعرفة؛ أي: متجاوزين المعرفة.

وأمَّا اختالتهم ففعلُه (اختال) افتعل من (خـال)، في اللسان: والخـالُ والخَيْل والخُيَلاء والخِيَلاء والأَخْيَل، والخَيْلة، والمَخِيلة، كُلُّه: الكِبْـر.

وقدِ اخْتالَ، وهو ذو خُيَلاءَ، وذو خالٍ، وذو مَخِيلة؛ أَي: ذو كِبْـر.

يقال: هو ذو خالٍ؛ أَي ذو كِبـر؛ قال العجَّاج:

والخـــالُ ثـــوبٌ مـــن ثـيـاب الجُـهَّـال

والـــدَّهْـــر فـيـه غَـفْـلـة لـلـغُـفَّـال[1]

قال أَبو منصور: وكأَن الليث جعل الخالَ هنا ثوبًا؛ وإِنَّما هو الكِبْـر.

وفي التَّنزيل العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ لقمان: ١٨؛ فالمُخْتال: المتكبِّر؛ قال أَبو إِسحق: المُخْتال الصَّلِف، المُتَباهي، الجَهُول الذي يَأْنَف من ذوي قَرابته إِذا كانوا فقراء، ومن جِيرانه إِذا كانوا كذلك، ولا يُحْسن عِشْرَتَهم، ويقال: هو ذو خَيْلة أَيضًا؛ قال الرَّاجزُ:

يَـمْـشي مـن الخَـيْـلـة يَـوْم الـوِرْد

بَـغْـيًـا، كـما يَـمْـشي وَلِيُّ الـعَـهْـد[2]

وفي الحديث: من جَرَّ ثوبه خُيَلاءَ لم ينظر الله إِليه؛ الخُيَلاء والخِيَلاء، بالضمِّ، والكسر: الكِبْـر، والعُجْب، وقدِ اخْتال فهو مُخْتالٌ[3].

(١) انظر: ديوانه.
(٢) انظر: اللسان: ١١/ ٢٢٨.
(٣) المصدر نفسه: ١١/ ٢٢٨.

والخالُ: الـمُتكبِّرُ المُعْجِبُ بنَفْسِه يقال: رجُلٌ خالٌ، وخالٍ.

والخالُ: المَوضِعُ الذي لا أَنِيسَ به.

والخالُ: الظَّن والتَّوَهُّمُ، خالَ يَخالُ خالًا.

والخالُ: الرجُلُ الفارِغُ مِن عَلاقَةِ الحُبِّ.

والخالُ: العَزَبُ مِن الرّجال.

والخالُ: الرَّجلُ الحَسَنُ القِيامِ على المالِ، وقد خالَ عليه يَـخِيلُ ويَخُولُ: إذا رَعاهُ، وأحسنَ القِيامَ عليه.

والخالُ: المُلازِمُ للشَّيء يَسُوسُه، ويرعاهُ.

والخالُ: لِـجَامُ الفَرَسِ؛ وكأنه لغَة في الخَوَلِ.

والخالُ: الرَّجلُ الضَّعيفُ القَلْبِ، والجِسمِ، وهو أَشْبَهُ أن يكون بتشديدِ اللام، مِن خَلَّ لَحْمُه: إذا هُزِلَ.

والخال: الرَّجلُ الحَسَنُ المَخِيلَةِ بِما يُتَخَيَّلُ فيه؛ أي: يُتَفَرَّس، ويُتَفَطَّن.

وزادَ عليه بعضَ مَعانٍ يُنْظَرُ فيها؛ فمنها: الصّاحِبُ، والمُفْتَقِرُ، والماضِي، والمُخَصِّص، والقاطِعُ، والمَهْزولُ، والمُتَفَرِّقُ، والذي يَقْطَعُ الخَلاءَ مِن الحَشِيش، والنِّقْرِسُ، والخُلُقُ؛ فهذه عَشْرةٌ، وذَكَر الكِبرَ، والتَّكبُّرَ، والاختِيالَ، وهذه الثلاثة بمعنًى واحدٍ[1].

قالَ المصطفويُّ: إنَّ الأصل الواحد في هذه المادَّة: هو حالة مخصوصة مُنعقدة مهيِّأة مرتَّبة خارجًا، أو ذهنًا، وهذا المفهوم قريبٌ من مفهوم الخول الدالّ على المراقبة، ورعاية شيء مع إعطاء؛ فإنَّه تهيُّؤ، وحالة مخصوصة منعقدة في نفسِه، وبالنِّسبة إلى الغَير.

(١) التاج: ١٤/ ٢٢٠.

فالظنُّ، والوهم، وما تشبَّه، واشتبه لك من الصُّور من مصاديق هذا الأصل ذِهنًا، وهذا المفهوم أعمُّ من الظنِّ، والوهم.

والتهيُّؤ، والتكبُّر، والتبختُر: حالاتٌ مخصوصة مُنعقدة في الخارج حاصلة للأفراد، وكذلك حالة العُجب في الباطن لهم.

وكذلك تخيُّل السَّماء للمطر، والتَّخيُّل في النَّوم من مصاديق تلك الحالة.

وأمَّا التَّعبير: خُيِّل إليه، خُيِّل لهُ، وخيِّل فيه، وخيِّل عليه، وخيِّل عنه، واختال، وأخال عليه، وتخيَّل، وخايل، وتخايل؛ فاختلاف المعاني فيها بسبب استعمالها بمختلف الحروف، والصّيغ، واختلاف الهيئات، وتظهر المخصوصيّة في كلّ منها من جهة ملاحظة الضَّمائم والعوارض؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾؛ أي: من كان مُعجبًا، ومتكبِّرًا يرى في نفسه حالةً مخصوصة، ويتوجَّه إليها، ويتهيَّأ؛ ثمَّ يفتخر بها؛ فالنَّظر في هذه المادَّة إلى جهة الحالة، والصُّورة الحاصلة المخصوصة، وفي التكبُّر، والإعجاب إلى مفهوميهما المتحصّلة بعد تلك الحالة الواقعة، يقال: خال، واختال؛ أي: ظنَّ، وتصوَّر في نفسِه صورة مخصوصة، واختار، وقصد تلك الحالة؛ فإنّ الافتعال للمطاوعة واختيار الفعل[1].

فيكون معنى عبارته عليه السلام «**واختالتهم الشَّياطين عن معرفته**»: ظنَّت بهم الشَّياطين ما أرادت، وهو الخفَّة معها، والمطاوعة لهذه الخفَّة؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ سبأ: ٢٠؛ فالظنُّ هنا التصوُّر مع العمل على أساسه.

وأمَّا (واحتالتهم)؛ فقد جاء في العين «والاحتيال بغير ما يبدي هو الكيدُ»[2].

(١) انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٣/ ١٦٤-١٦٥.
(٢) العين: ٥/ ٣٧٠.

وفي اللسان: «الحَوْل، والحَيْل، والحِوَل، والحِيلة، والحَوِيل، والمَحالة، والاحتيال، والتَّحَوُّل، والتَّحَيُّل، كلُّ ذلك: الحِذْقُ، وجَوْدَةُ النَّظر، والقُدرةُ على دِقَّة التصرُّف، والحِيَلُ والحِوَل: جمع حِيلة.

ورجل حُوَلٌ، وحُوَلة، مثل هُمَزَة، وحُولة وحُوَّل وحَوَالِيٌّ، وحُوَالِيٌّ وحوَلْوَل: مُحْتال شديد الاحتيال..

.. واحْتَال: من الحِيلة، وما أَحْوَله، وأَحْيَله من الحِيلة، وهو أَحْوَل منك، وأَحْيَل معاقبة، وإِنَّه لذو حِيلة، والمَحالة: الحِيلة نفسها، ويقال: تَحَوَّل الرجلُ، واحْتال إِذا طلب الحِيلة»[1].

في نهج البلاغة: «قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ، ودُونَهَا مَانِعٌ»[2].

واللطيف العجيب إنَّ معاوية وصف نفسه بهذا الوصف حين احتضاره، جاء في النِّهاية لابن الأثير: «وفي حديث معاوية: لـمَّا احتضر قال لابنتيه: قلِّباني؛ فإنَّكما لتقلِّبانِ حُوَّلًا قُلَّبًا، إن وقي كية[3] النَّار»[4].

والاحتيال والمكر متقاربانِ، قال في الصِّحاح: المكر: الاحتيال، والخديعة[5]، ولا يبعد أن يُقال: الاحتيال هو استعمال الرُّؤية، وأخذ الحيلة لدفع ضرر الغير عن نفسِه، والمكر استعمال الرُّؤية، وارتكاب الخديعة لإيصال الضَّرر إلى الغَير[6].

(١) اللسان: ١١/ ١٨٥-١٨٦.
(٢) نهج البلاغة: ٨٣.
(٣) كذا في النهاية، وضبطها باللسان بالباء المشدَّدة (كبَّة). اللسان: ١١/ ١٨٦.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٤٦٤.
(٥) الصِّحاح: ٢/ ٨١٩.
(٦) شرح أصول الكافي: ٤/ ٥٨.

ابن معصوم في الرياض في قول الإمام السجَّاد: «اللهُمَّ أخلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ، وَأبْدانَهُمْ مِنَ القُوَّةِ، وَأذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الاحْتِيالِ»، يقول: «والاحتيال: طلب الحيلة، وهي الحُذقُ في التَّدبير، وهو تقليب الفكر، وإعماله حتَّى يهتديَ إلى المقصود»[١].

إذن فأصل الاحتيال هو تقليب التَّفكير، والحُذق في اتِّخاذ التّدابير (جيِّدها ورديئها)، وهو أصل جيِّد، وإيجابيّ، ولكن! لـمَّا غلب على هذا الأمر الاستعمال في الأمور السلبيَّة؛ قيل لكلِّ من قام به إنَّه مُحتال؛ وهذا نوع من أنواع انحطاط الدَّلالة، كما في قول الإمام السجَّاد عليه السلام في وصف الملائكة «الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ آلَائِكَ، والْمُتَوَاضِعُونَ دُونَ عَظَمَتِكَ، وجَلَالِ كِبْرِيَائِكَ»[٢]؛ فإنَّ المستهتر أخذ من الهتر؛ وهو شدَّة الولع بالشيء؛ ولـمَّا غلب استعماله، ووصف من أخذ به بهذا الأمر عُمِّمت الدلالة السلبيَّة على كلِّ من ولع، واستهتر بالرَّذائل.

المستهتر: بفتح العين المولع بالشيء لا يتحدَّث بغيره، ولا يفعل غيره، وفي الحديث[٣] سبق المفرِّدون، قالوا: وما المفرِّدون قال: المستهترون بذكر الله[٤].

وقد استُهتر بكذا على ما لم يسمَّ فاعله، وفي نسخة ضبطه بكسر العين، ولم ينصّ عليه أهل اللغة، واشتقاقه من الـهَتر بالفتح وهو مزق العرض، والشَّتم؛ لأنَّ المولع بالشيء لا يبالي بما قيل فيه وشتم له، أو من الـهُتر بالضمِّ، وهو ذهاب العقل من مرضٍ أو حُزن[٥].

(١) رياض السالكين: ٤/ ٢٣١.
(٢) الصحيفة السجَّاديَّة: ٣٨.
(٣) الجامع الصغير السيوطيّ: ٢/ ٤٤.
(٤) انظر: ربيع الأبرار: ٢/ ٣٨٢.
(٥) رياض السالكين: ٢/ ٣٩.

وذكر الزَّمخشريّ: استهتر فلانٌ إذا ذهب عقله بالشَّيء، وانصرفت هِممهُ إليه حتَّى أكثر القول فيه، وأولع به، أراد المستهترين بالدُّنيا[1].

ومن هنا تمخَّض أمرٌ مهمّ: هل يمكن أن نسمِّي الله سبحانَه باسم لم يذكرْهُ في كتابه عَلنًا؟، وقد ذُكر ضمنًا، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ آل عمران: ٥٤، بأن نسمِّيَ الله: الماكر؟؟.

وقوله تعالى: ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ الإسراء: ١٦، بأن نسمِّيه الآمر، وهكذا؟؟.

ومن هنا يكون معنى قولهعليه السلام «واحتالتهم الشَّياطينُ عن معرفته»: مكرت بهم باستعمال ما تعلمه عن بني البشر، من الضَّعف أمامها، وقبول الوسواس؛ مستندةً إلى الحذق، والتَّدبير؛ كلُّ ذلك لأجل تجاوز معرفة الله التي هي غاية كلِّ البشر؛ أو قلِ: التي يريدها الله لخلقه.

وقالصلى الله عليه وآله: «**لولا أنَّ الشياطين يحومون حول قلب ابن آدم؛ لنظر إلى الملكوت**»[2].

وفي البحار ذكره بالجمع «بني آدم، لنظروا»: «قالصلى الله عليه وآله: **لولا أنَّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السَّماوات**»[3].

وأمَّا اغتالتهم، فقد ورد في المقاييس «الغين، والواو، واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ختْلٍ وأخذ من حيثُ لا يدري، يقال: غاله يغوله أخذَه من حيثُ لم يدرِ.

قالوا: والغول بعد المفازة؛ لأنَّه يغتال من مرَّ به، قال:

(١) الفائق: ٣/ ٣٨٩.
(٢) عوالي اللئالي: ٤/ ١١٣.
(٣) البحار: ٥٦/ ١٦٣.

بـه تمـطَّـت غـول كـلِّ مـيـلـة[1]

والغول من السّعالى سمِّيتْ؛ لأنَّها تغتال، والغيلة: الاغتيال، والياء واوٌ في الأصل.

والمِغول سيفٌ دقيقٌ له قَفا، وأظنُّه سمِّي مِغولًا؛ لأنَّه يُستر بقِراب حتَّى لا يُدرى ما فيه، والله أعلم»[2].

وفي اللسان: وفلان قليلُ الغائلة والمَغالة؛ أَي: الشرّ، والغَوائل الدَّواهي، والغِيلة: بالكسر: الخَدِيعة والاغْتِيال، وقُتِل فلان غِيلةً؛ أَي: خُدْعة، وهو أَن يخدعه فيذهب به إِلى موضع؛ فإِذا صار إِليه قتله، وقدِ اغْتِيل.

والغِيلة في كلام العرب إِيصال الشرِّ، والقتل إِليه من حيثُ لا يعلم، ولا يشعُر.

وقتلَهُ غِيلةً: إِذا قتله من حيثُ لا يعلم، وفتَك به إِذا قتلهُ من حيثُ يراه، وهو غارٌّ غافِل، غير مستعدٍّ.

وغال فلانًا، كذا وكذا إِذا وصل إِليه منه شرّ، من حيثُ لا يعلم؛ فيستعدّ.

ويقال: قدِ اغْتاله إِذا فعل به ذلك.

وفي حديث عمر: أَنَّ صبيًّا قُتل بصَنْعاء غِيلة فقَتل به عمر سبعة؛ أَي: في خُفْية، واغْتيال وهو أَن يُخدَع، ويُقتَل في موضع لا يراهُ فيه أَحد.

والغِيلة: فِعْلة من الاغتيال[3].

(١) الشطر لرؤبة، ديوانه: ١٦٧، وتتمَّته:

بـنـا مـراجـيـح المـهـاري الـنّـفـه

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٠٢.

(٣) ينظر: اللسان: ١١/ ٥١٢-٥١٣.

وقد ورد في كلام أمير المؤمنين «وأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيه غَيْرُه مِنْ خَاصَّتِكَ- لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَه عِنْدَكَ»[1].

وفي رواية (اغتياب)، وعند الرَّاوندي في شرحه ذَكر الروايتينِ[2]، يقول: «والاغتياب: الغيبة، والاغتيال: مصدر اغتاله إذا أخذه من حيثُ لم يدرِ».

وعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلام «واغتالتهم الشَّياطين عن معرفته»: خدعتهم، واستدرجتهم من حيثُ لا يعلمون لتجاوز المعرفة؛ وبالعادة فإنَّ الاغتيال له بعدٌ مادِّيّ أكثر من كونه معنويًّا.

نعم قد يكون ورود المعرفة التي هي من المعنويَّات في الإسناد يلمح إلى ذلك، والله العالم.

وأمَّا (واختبلتهم..)، فقد ورد معنى (خبل) في مقاييس اللغة: خبل: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على فساد الأعضاء؛ فالخبل: الجنون، يقال اختبله الجنّ، والجنِّيّ خابل، والجمع خُبّل، والخَبل فساد الأعضاء، ويقال خبلت يدُه إذا قطعت، وأفسدت، ويقال: فلان خبال على أهله؛ أي: عناء عليهم لا يغني عنهم شيئًا[3].

والخبل جنون، أو شبهه في القلب، ورجل مخبول وبه خبلٌ، ورجل مخبَّل: لا فؤادَ معه، وقد خبلهُ الدَّهرُ، والحزن، والسُّلطان، والحبُّ والدَّاء خبلًا، والخَبل: فساد الأعضاء حتَّى لا يدري كيف يمشي؛ فهو متخبِّل، وخَبِل، ومُختبل، والخبال: الفساد، والجنون[4]، وعصارة أهل النَّار، وفي الحديث: من أكل الرِّباء أطعمه الله من طينة الخَبال

(١) نهج البلاغة: ٤٣٥.

(٢) منهاج البراعة للراونديّ: ٣/ ١٨٢.

(٣) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٤) ومنه قول أمير المؤمنين حين سُئِل عن سكنه (أي القَصرَين ننزلك؟ قال: «قصر الخبال=

يوم القيامة، وقال رجلٌ من العرب: إنَّ لنا في بني فلان خبلًا في الجاهليَّة؛ أي: قطع أيد، وأرجلٍ[1].

الأصل الواحد في هذه المادَّة هو مطلقُ الاسترخاء، والهوان، سواء كان في الأعضاء الظاهرة، أم الباطنة.

فالجنون والفساد في عضوٍ، والبَله، وقطع اليد، والعناء في القلب والوجع في عضو وضعفه وهلاكه: كلُّها من مصاديق ذلك الأصل.

قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ آل عمران: ١١٨؛ أي: لا يقصرون، ولا يسامحون في الخَبال عليكم، وإيراد الهوان، والضَّعف، والاسترخاء فيكم، ويؤيِّد هذا المعنى آخر الآية ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨؛ أي: يحبُّون المشقَّة، والضَّرر عليكم.

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾؛ أي: لا يزيد ولا يؤثِّر خروجهم فيكم الَّا الاسترخاء، والهوان فيكم من جهة الإرادة، وقوَّة الإيمان[2].

وعليه يكون الكلام المحتمل بحسب هذا المعنى: اهتونتكم فهتُمْ، وافتسدت عقولَكم عن المعرفة بخالقِكم؛ فتابعتموهمْ على ما أرادوا في أعضائكم الظّاهريَّة، والباطنيَّة (عقولكم).

وأمَّا (واختتلتهم)؛ فمادَّته الخَتْل، وهي في المعجمات، فقد ورد في المقاييس «الخاء،

=لا تنزلونيه»؛ فنزل على جعدة بن هبيرة المخزوميّ). انظر: وقعة صفِّين لنصر بن مزاحم المنقريّ (ت٢١٢هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمَّد هارون، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ هـ، ملتزم الطبع والنشر، المؤسَّسة العربيَّة الحديثة: ٥.

(١) تهذيب اللغة: ٧/ ٤٢٤.

(٢) انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٣/ ١٧.

والتاء، واللام أصيلٌ فيه كلمة واحدة، وهي الختل، قال قومٌ: هو الخدع، وكان الخليل يقول تخاتل عن غفلة»[1].

وفي النِّهاية «فيه: (من أشراط السَّاعة أن تعطَّل السّيوف من الجهاد، وأن تختل الدُّنيا بالدِّين)؛ أي: تطلب الدُّنيا بعمل الآخرة، يُقال: ختلهُ يختلهُ إذا خدعهُ، وراوغهُ، وختل الذِّئب الصَّيد إذا تخفَّى لهُ»[2].

فالاختتال مكرٌ، وخديعةٌ بإخفاء المآرب؛ للوصول إليها.

ويكون معنى «**اختتلتهم الشَّياطينُ عن معرفته**»، اختدعتهم؛ فأمالوا عن المعرفة بتخفٍّ، وخداعٍ منَ الشَّيطان الرَّجيم الذي تربَّص؛ فوسوس.

ولترجيح قراءةٍ على أُخرى لا بدَّ من الآتي:

١. إنَّ الألفاظ (اجْتالتهم، اختالتهم، احتالتهم، اغتالتهم، اختبلتهم، اختتلتهم) متقاربةٌ في الرَّسم؛ فمسألة وجود تصحيفٍ، وتحريفٍ في الأمر مؤكَّدة؛ لأنَّ اللفظ واحد، والأُخر قد وردتْ فرعًا على هذا الواحد.

٢. الاستعانة باللغة؛ فقد وردت المعاني اللغويَّة على الآتي:

أ. اجْتالتهم: إدارة الأمور، والأشياء عن حالاتها الحقيقيَّة.

ب. اختالتهم: ظنَّت بهم الشَّياطين ما أرادت، وهو الخفَّة معها، والمطاوعة لهذه الخفَّة.

ج. احتالتهم: تقليب التَّفكير، والحُذق في اتِّخاذ التَّدابير (جيِّدها ورديئها).

(١) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٤٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٩.

د. اغتالتهم: خدعتهم، واستدرجتهم من حيثُ لا يعلمون لتجاوز المعرفة؛ وبالعادة فإنَّ الاغتيال له بعدٌ مادِّيّ أكثر من كونه معنويًّا.

هـ. اختبلتهم: اهتونتكم فهنتُم، وافتسدت عقولكم عن المعرفة بخالقكم؛ فتابعتمهوهم على ما أرادوا في أعضائكم الظاهريَّة، والباطنيَّة (عقولكم).

و. اختتلتهم: اختدعتْهم؛ فأمالوا عن المعرفة بتخفٍّ، وخداعٍ من الشَّيطان الرَّجيم الذي تربَّص؛ فوسوس.

فالملاحَظ إنَّ هذه المعاني متقاربة، فـ(الاجتيال نفسه الاحتيال بتأويل).

و(الاحتيال قريبٌ من الاجتيال، والاختيال).

و(الاغتيال قريبٌ من الاحتيال، والاختيال).

و(الاختبال، وهو فساد الأعضاء، قريب من الاحتيال، والاغتيال) التي هي أفعال لا تدلُّ على المعقولات الفطريَّة.

و(الاختتال يقارب الاختيال، والاغتيال، والاختبال).

وهكذا فكلُّ لفظةٍ بينها، وبين مثيلاتها نسبة عموم وخصوص من وجه؛ أو نسبة عموم وخصوص مطلقًا.

٣. مع كلِّ هذا التَّداخُل وجب علينا الاستعانة بالسِّياق؛ فهو الحاكم، والفيصل في تحديد الدَّلالة المطلوبة للنصِّ؛ وبالرّجوع إلى السِّياق اللغويّ نحتكم إلى المتعلّق (عن معرفته)؛ كما مرَّ آنفا إنَّ (عن) تفيدُ التَّجاوز.

فاجتالتهم: أدارتْ بهم (عن) المعرفة.

واختالتهم: في الأمر.

واحتالتهم، يتعدَّى بـ (على).

واغتالتهم: اكتفى بمفعوله، أو اغتالت الشَّخص.

واختبلتهم: الأمور في..

واختتلتهم، الأشياء.

فتكون القراءة المشهورة (اجتالتهم) هي الأرجح، والأكثر ملاءمة للسِّياق؛ فالشَّياطين أدارت العقولَ عن المعرفة، وذهبت بهم بعيدًا.